عين المدينة

نبنيـها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- ماذا فعل التحالف في دير الزور ص4
- أمام سجن داعش في الباب ص6
- مرافعة عن عمان النجرس ص7
- تجنيد الأطفال في صفوف داعش ص8
- بين القائم والبوكمال ص11
- تجار النفط.. يحبون الفوضى ص13
- اضطهاد السوريين في مصر ص17
- تماثيل أخرى ليست لحافظ الأسد ص19

عين المدينة | العددان (36-37) | 1-16 تشرين الثاني 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

الرجل الذي ثار في حلب ومات في عنتاب...

بمرور عام كامل على رحيل عبد القادر الصالح (حجي مارع) تبدو الدروس التي استفدناها من مسيرة هذا الرجل قليلةً جداً، رغم المحبة الظاهرة له من الثوّار. لم نتعلم دروس البساطة ودماثة الوجه وسلامة القلب والإخلاص والتواضع، كما لم نتعلم دروس القيادة الفطرية وإتقان التوازنات بين الفرقاء بيسرٍ ودون خداع أحد.

وحتى الذين عاشروا الرجل عن كثب لم يمكن لهم أن يتمثلوه، بقدر ما احتفظوا بذكراه في قلوبهم، طيفاً رهيفاً يمرّ كنسمةٍ حيناً، أو حزناً ثقيلاً يزعزع التماسك حيناً.

ولكن، إذا كنا لم نستطع أن نقتدي به؛ ألا يفيدنا المخطط العام الذي رسمه القدر لحياة هذا الرجل واستشهاده، والذي يشير إليه العنوان هنا، في شيء؟! ولا سيما مع الترف والتفكك والضياع والارتهان الذي عانته المعارضة في الخارج، وخلوّ كثيرٍ من الساحات من مقاتليها وناشطيها في العمل المدنيّ بمختلف جوانبه، لصالح التسرّب النازف باتجاه الخارج، انطلاقاً من تركيا ولبنان وانتهاءً بألمانيا والسويد.

ألم يأن الوقت ليكون دعم المطلب بإقامة المنطقة العازلة على جزءٍ من الأراضي السورية هو هاجسنا الملحّ الآن، حفاظاً على ما تبقى من أرواح يهدّدها القصف هناك، وعلى أخرى يهدّدها الفساد هنا؟

رحم الله الحجّي، الذي لم يتخذ بيتاً في عنتاب التي مات في أحد مشافيها، ودُفن في قريته التي حرّرها بالدم والعرق، وها هم الطغاة المحدثون يقصفونها!

دي مستورا يبحث تجميد القتال..

والمعارضة تشترط محاكمة النظام.. والنظام يدرس المبادرة

هيئة التحرير

لم تكن جولة المبعوث الأمميّ ستيفان دي مستورا في سوريا، ولقاءاته المتعدّدة مع ممثلين للنظام وللسكان المحليين في بعض المناطق المحاصرة ولفصائل المعارضة، هي التي حرّضت القيادة الأمريكية على تكرار خطاباتها فيما يتعلق بالمسألة السورية. فالرئيس الأمريكيّ أمام تحدٍّ يوجب عليه التنديد بأعمال الأسد وبتنظيم الدولة كلّ أسبوع على أكثر تقدير، وخاصةً مع تراجع أهمّية هجمات التحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتحدة لمواقع تنظيم "الدولة الإسلامية" في الشرق والشمال السوريين، والتي باتت ذات تأثير ضعيف إن لم تكن عديمة التأثير، إلا في زيادة المصاعب الاقتصادية والأمنية على السكان في مناطق سيطرة التنظيم. ويساهم حضور الطيران الأسديّ في الأجواء ذاتها التي تحلق فيها طائرات التحالف في بعض المناطق السورية، في زيادة الشكوك حول حقيقة الموقف الأمريكيّ من نظام الأسد. شكوكٌ يمكن لها، إن تصاعدت، أن تؤثر لصالح تنظيم الدولة، رغم التأكيدات الأمريكية بنفيها، وآخرها ما صرّح به باراك أوباما منذ أيام: "ربما لن يكون من الممكن إنزال الهزيمة بمتشدّدي تنظيم داعش من دون إزاحة الرئيس السوريّ بشار الأسد".

إلا أن جولة دي مستورا داخل وخارج سوريا، والتي لم تتبدّ نتائجها بشكلٍ عمليٍّ بعد، إلا من خلال دخول مساعداتٍ إنسانية إلى بعض المناطق المحاصرة، كان لها أن تعطي تحفيزاً جديداً للدول الفاعلة في الملف السوريّ للإصرار على أهمية وجود مبعوثٍ دوليّ، خاصةً وأن الفترة السابقة كانت أقرب إلى غياب هذا الدور تماماً، كما كان فشل الإبراهيميّ سابقاً في التوصّل إلى نتيجة، بمثابة فشل أيّ دورٍ يمكن أن يقدّمه مبعوثٌ دوليٌّ بخصوص سوريا. فما إن أنهى دي مستورا اجتماعه مع وزير الخارجية الروسيّ، سيرجي لافروف، حتى سرّبت صحفٌ ووكالات أنباءٍ أن لافروف

عبّر عن موقفٍ جديدٍ للقيادة الروسية، مفادها تعهّد روسيا بالموافقة على عزل الأسد والدائرة المحيطة به، شرط الإبقاء على النظام ومؤسسات الدولة، إضافةً إلى اشتراط تجاوب المعارضة السورية المعتدلة. وهو ما رحّب به المعارض السوريّ والرئيس الأسبق للائتلاف الوطنيّ لقوى الثورة والمعارضة، الشيخ معاذ الخطيب، الذي فاجأ مناصريه ومعارضيه ونشطاء العمل الإعلاميّ والسياسيّ السوريّ بزيارةٍ إلى روسيا، قال بعدها إن الاجتماعات كانت إيجابيةً، و"تمحورت حول فتح آفاقٍ جديدةٍ للحلّ السياسيّ".

تجميد الصراع في حلب

لم تلقَ مبادرة دي مستورا بتجميد الصراع في حلب "مبدئياً" معارضةً واضحة، إلا أن لكلّ طرفٍ شروطه الخاصّة عليها، شروطٌ قد تلغي فكرة المبادرة جذرياً. فالثوّار في مدينة حلب وافقوا على المبادرة بشروطٍ هي، كما تقول الجبهة الإسلامية: "إيقاف القصف المستمرّ بكافة أشكاله على القرى والمدن السورية، وسحب العناصر الأجنبية منها، والإفراج عن كافة المعتقلين والمعتقلات في سجون النظام، إضافةً إلى محاكمة قيادة النظام الأمنية والعسكرية، ممثلةً برأسه وكافة المتورّطين بدماء السوريين". بينما قال الائتلاف الوطنيّ، ممثلاً برئيسه هادي البحرة، إن المبادرة غير واضحة، وإنها لم "تُعرَض على المعارضة السورية حتى الآن". ومن جانبه أعلن النظام في دمشق أنه ما زال يدرس المبادرة، وهو ما شككت فيه القيادة الأمريكية، حين قالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية، جنيفر ساكي، إن عدّة هدنٍ عقدت مع النظام كانت أقرب إلى الاستسلام منها إلى اتفاقٍ حقيقيٍّ لوقف إطلاق النار.

وأمام جهود المبعوث الدوليّ للتوصّل إلى هدنةٍ في حلب، تستمرّ المخططات الدولية لحصار تنظيم الدولة الإسلامية في مناطق سيطرته داخل سوريا والعراق. فقد قال متحدّثٌ باسم الجيش الفرنسيّ إن بلاده ستقرّر قريباً ما إذا كانت سترسل طائراتٍ مقاتلةً إلى الأردن لضرب التنظيم في العراق، بينما بيّنت وسائل إعلام تركيةٌ أن الجيش التركيّ قام بإرسال دبّاباتٍ إضافية بين مقاطعتي شيرناك ومردين جنوب شرق البلاد على الحدود مع سوريا، كجزءٍ من خطةٍ تركيةٍ لفرض منطقة حظر جوّيٍّ داخل الأراضي السورية، إن لقيت موافقةً غربيةً عليها.

انتصارات درعا تخطف الأنظار من جديد.. وتعيد للكفاح العسكريّ حضوره

هيئة التحرير

دون إنذار مسبق، وفي الوقت الذي تتوجه فيه الأنظار إلى جبهاتٍ أخرى، حقق الثوّار المنتمون إلى فصائل عسكريةٍ عدّةٍ تقدّماً كبيراً بالسيطرة الكاملة على مدينة نوى بعد أشهرٍ من القتال حولها. فقد انسحبت قوّات النظام من المدينة بشكلٍ مفاجئٍ لتصبح نوى ومواقع عسكرية داخلها وفي محيطها تحت سيطرة الثوار، الذين لم تنجح الهجمات الجوّية المكثفة لطائرات الأسد في وقف تقدمهم.

وليعلن الجيش السوريّ الحرّ المدينة محرّرةً بالكامل، مذكراً بإعلانات انتصارٍ مشابهةٍ افتقدها جمهور الثورة منذ مدّةٍ طويلة، فيما نشرت جبهة النصرة صوراً لأعلامها ترفرف فوق عدّة أبنيةٍ قالت إنها من المدينة المحرّرة. أما وكالة سانا الناطقة باسم نظام الأسد فقالت إن الجيش "نفذ مناورةً لإعادة الانتشار والتموضع بما يتناسب مع طبيعة الأعمال القتالية المقبلة" في المنطقة. وبتحرير نوى حقق الثوار إنجازاً لافتاً يمهّد لعملياتٍ عسكريةٍ قد تقترب من دمشق وتسهّل عمليات الإمداد والتنقل بين البلدات المحرّرة، باعتبارها نقطة وصلٍ رئيسيةٍ بين الريف الشماليّ الغربيّ والريف الجنوبيّ الغربيّ من هذه المحافظة.

ولحقت تلك العمليةَ عمليةٌ أخرى قام بها مقاتلون من "جبهة ثوار سوريا في المنطقة الجنوبية" وجبهة النصرة، سيطروا فيها على المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة الشيخ مسكين في ريف درعا وصولاً إلى حدود مفرق إزرع. وتُقلص انتصارات الثوار الأخيرة عدد المدن والبلدات الخاضعة لسيطرة الأسد في محافظة درعا إلى حدٍّ كبير.

معارك كرٍّ وفرٍّ في القلمون وبادية حمص وعين العرب

تحاول تشكيلات الجيش الحرّ والفصائل الإسلامية المقاتلة في مناطق من القلمون استنزاف قوّات النظام السوريّ في هذه المنطقة الجبلية الوعرة، واستنزاف ميليشيا حزب الله اللبنانيّ من خلال استدراجها إلى معارك صغيرةٍ تتكبّد فيها خسائر بشريةً

usnews.com

مؤلمةً بالكمائن والعمليات الخاطفة. وشهدت الأيام السابقة عدّة عملياتٍ من هذا القبيل، منها إفشال عملية إنزالٍ جويٍّ لقوّات النظام، مترافقاً مع تقدّمٍ بسيطٍ في بعض قطاعات الجبهة.

وفي البادية القريبة من حمص، تمكّن تنظيم "الدولة الاسلامية" من السيطرة على حقل الشاعر للغاز وبعض المواقع النفطية المجاورة له، قبل أن تشنّ قوّات الأسد هجماتٍ مضادّةً أبعدت مقاتلي التنظيم عن "الشاعر" وأحبطت الهجوم الموازي للتنظيم على مطار التي فور ذي الأهمية الكبرى لقوة الأسد الجوية. وفي أقصى الشمال السوريّ استمرّت معارك عين العرب/ كوباني بين مقاتلي "الدولة" والمقاتلين الأكراد، في حين لم تتوقف غارات التحالف الدوليّ على مواقع التنظيم وطرق إمداده نحو المدينة.

جوبر.. صمودٌ مستمرّ

استمرّت قوّات النظام، خلال الأيام الماضية، باستهداف حيّ جوبر شرق العاصمة دمشق، ضمن عمليةٍ عسكريةٍ مستمرّةٍ منذ حوالي عام للسيطرة على الحيّ وإخلائه من كتائب الجيش الحرّ. وقد شهد الأسبوع الماضي استخداماً للغازات السامّة في الحيّ للمرة الرابعة، وسُجّل وقوع ضحايا جراء هذا الاستهداف، في حين لم تتمكن قوّات النظام من التقدّم باتجاه الحيّ الذي دُمّر ما يزيد على 80% من أبنيته حتى الآن.

وبالقرب من جوبر اشتدت المعارك حول جسر زملكا الذي يحوز أهميةً استراتيجيةً في المنطقة. وفي الوقت الذي أعلنت فيه قوّات النظام سيطرتها عليه نقل إعلاميون عسكريون تسجيل فيديو لمجموعاتٍ من الثوّار وهي تتجوّل فوق الجسر.

إدلب.. اشتباكاتٌ بين فصائل معارضة

سيطرت جبهة النصرة على جبل الزاوية بعد معارك متنقلةٍ مع جبهة ثوار سوريا بقيادة جمال معروف، المصنفة ضمن "فصائل المعارضة المعتدلة". وطالت هجمات النصرة أيضاً مواقع ومقرّاتٍ لحركة حزم. وعرضت النصرة، في مقاطع مصوّرةٍ بثتها على شبكة الإنترنت، كمياتٍ هائلةً من الأسلحة والذخيرة قالت إنها عثرت عليها في مستودعات معروف، متهمةً إياه بتكديس السلاح وعدم استخدامه لقتال قوّات الأسد.

ماذا فعل التحالف الدوليّ في دير الزور؟

قتل واحداً وعشرين مدنياً، وجرح خمسةً وعشرين آخرين، ولم يعتذر

معاوية حماد

بحسب مصادر خاصّة ودقيقة، قُتل في يوم 17/10/2014 خمسة أشخاص بصواريخ طائرات التحالف بالقرب من معمل غاز كونيكو المجاور لقرية خشام، وجُرح أحد عشر شخصاً آخر. وفي ذات اليوم قُتل شخصٌ آخر إثر استهداف ذات الطائرات لتجمع لمصلي النفط البدائية قرب بلدة الجرذي، وجرح اثنان آخران. وفي يوم 7/11/2014 قُتل ثلاثة عشر شخصاً بالطريقة ذاتها، وجُرح عشرةٌ آخرون، في تجمع للصهاريج قرب أحد آبار حقل التنك النفطيّ. وقعت الحوادث الثلاث في الريف الشرقيّ لمحافظة دير الزور. وفي ريفها الغربيّ قُتل في يوم 8/11/2014 شخصان، وجُرح اثنان آخران، قرب أحد الآبار التابعة لحقل الخراطة النفطي. لتكون الحصيلة النهائية لعدد الضحايا المدنيين الذين سقطوا، بعد 125 غارةً جوّيةً مسجّلةً لطائرات التحالف على مواقع في محافظة دير الزور، منذ بدء الهجمات الجوية وحتى يوم 15/11/2014؛ هي 21 قتيلاً. كلّ هؤلاء من العاملين في مهن تتعلق بالنفط الخام وتكريره. وكلهم كذلك، ولا شك، كانوا يحبّون الحياة. وكان يمكن لطياري التحالف الدوليّ تجنب قتلهم، لكن هذا لم يحدث. فعلى ما يبدو أن أرواح السوريين، التي أزهق منها بشار الأسد ثلاث مئة ألفٍ، لا تستحق مزيداً من الحذر والتمييز، ولا تستحق كذلك حتى الاعتذار من قبل الناطقين الرسميين، ولا السؤال عنهم من قبل الصحفيين والصحفيات المتلهفين لنقل أخبار حرب داعش. وداعش، هي الأخرى أيضاً، لم تلقِ لمقتل هؤلاء أيّ اهتمام، ولم تستثمر مقتلهم حتى في سبيل الدعاية والتحريض في حربها الإعلامية ضد ما تسمّيها بـ"الحملة الصليبية". ومن جانبها لم تستنكر مؤسستا المعارضة الرئيسيتان، الائتلاف والحكومة المؤقتة، حوادث مقتل المدنيين في دير الزور. وهو استنكارٌ عديم الأهمية حتماً، لكنه شيءٌ ما، ولو لفظيٌّ، يمكن لهما أن تقوما به على الأقلّ.

لكلّ قتيلٍ أو جريحٍ عائلةٌ وأقارب وأصدقاء. ولكلٍّ من هؤلاء، ولمن تعاطف مع الضحايا، موقفٌ سيميل إلى داعش بالتأكيد. فأسباب الميل إليها تزداد لدى الرأي العام رغم ممارساتها القمعية بحق السكان؛ إذ لم تقلّص الغارات الجوية للتحالف من حماسة بشار الأسد -عدوّهم الأصليّ- في ممارسة هواياته المفضلة بقتلهم، ولم تُنقص قدرته على ذلك ولم تُجب الدولة قائدة التحالف الدوليّ على السؤال الأهمّ: متى الخلاص؟ بل لم تفكر حتى بصياغة دعايةٍ تستقطبهم إلى جانب هذا التحالف. "لقد استكثر علينا العالم حتى الوعود الكاذبة، فلا يأبه بنا أحد"، يقول الناس في دير الزور المدينة وفي الميادين والبوكمال والقورية وموحسن والشحيل والريف الغربيّ، كما يقولون أشياء مشابهةً في كلّ المحافظات السورية التي قاست الموت والجوع والمرض والتشرّد.

> قتلت طائرات التحالف الدوليّ، منذ بدء هجماتها على مواقع داعش، 21 مدنياً في محافظة دير الزور. وقتل بشار الأسد خلال المدّة نفسها 19 مدنياً.

إن الرهان على نفور السوريين من مقاتلي داعش هو رهانٌ خاطئ، إن تُركوا لوحدهم في واقع كارثيٍّ مثل واقعهم، أو إن بقي بشار الأسد وأعيد إنتاجه. فقد ينقلب هذا النفور إلى تعايشٍ مع داعش أولاً، ثم إلى قناعةٍ جزئيةٍ أو كاملةٍ بها، ثم إلى ولاء. وحينذاك لن يتذكر السوريون -أو أكثريتهم- كلمات الحرية والكرامة والمساواة التي أطلقوها مطلع ثورتهم، ولن يكون للعقل محلٌّ في الاستعمال العام.

في يوم من أيام عام 2007، زار بشار الأسد دير الزور، فخرج عشرات الآلاف من أهلها لسماع كلمته التي ألقاها يومذاك من شرفة دار المعلمين، وهتفوا له، وتزاحموا للاقتراب منه، وبملء ارادتهم. ليس لأنهم يحبّونه بل لأنه الخيار الوحيد، ولا بدّ للكائن البشريّ من أن يرضى بخياره الوحيد، ولو بعد سخطٍ عليه. ويُخشى أن يأتي يومٌ مثله إن بقي الحال على ما هو عليه الآن، يخرج الناس فيه احتفالاً بالبغدادي، لا لأنهم يحبونه بل لأنه الخيار الوحيد.

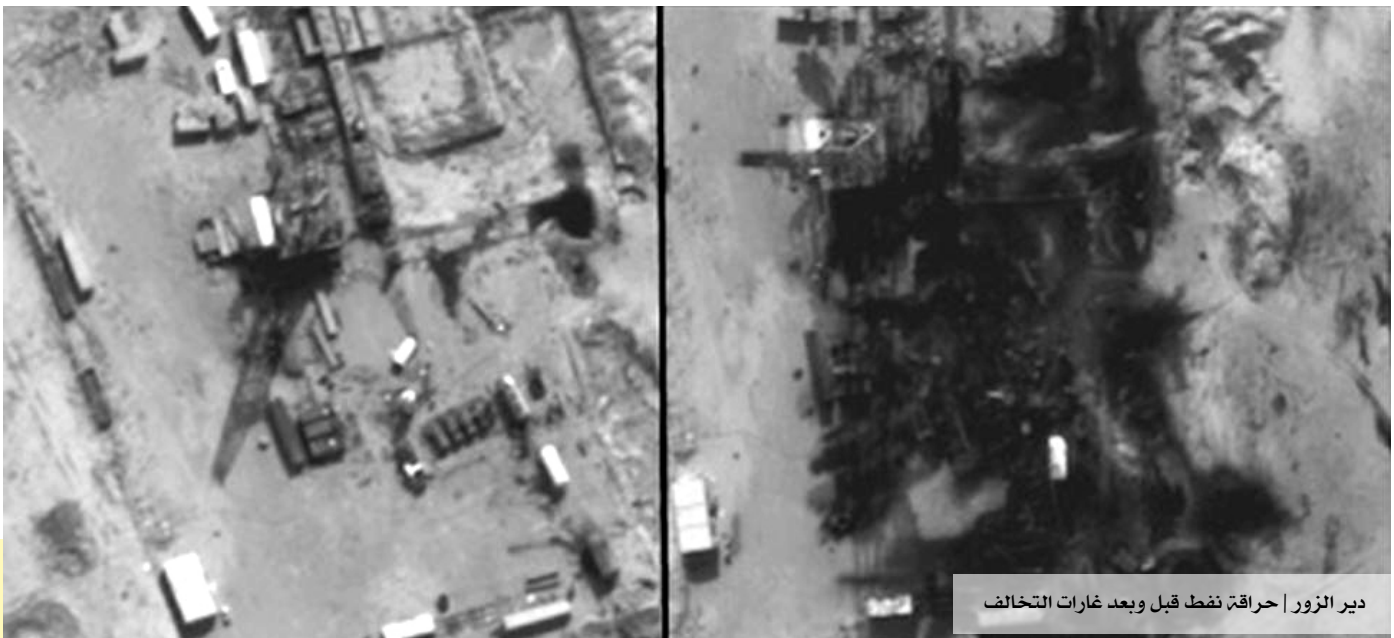

دير الزور | حراقة نفط قبل وبعد غارات التحالف

توقف الأعمال الإنسانية في دير الزور..
عشرات آلاف المحتاجين لن يجدوا بعد اليوم من يساعدهم

منذر إبراهيم

منذ سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على دير الزور، أوقفت معظم المؤسسات والمنظمات مشاريعها الإنسانية، خوفاً من استفادة عناصر التنظيم من هذه المشاريع، مما حرم عشرات آلاف المحتاجين من المساعدة.

لا يجد (س)، وهو ناشطٌ إغاثيٌّ في إحدى بلدات ريف دير الزور الشرقيّ، ما يقوله حين يسأله بعض من اعتاد أن يساعدهم عن موعد السلة الإغاثية القادمة. ويحاول أن يتهرّب من قول أيّ شيءٍ في هذا الخصوص، لأنه يخشى أن يتورّط في الحديث إلى نقطةٍ قد تودي به إلى المساءلة من قبل عناصر تنظيم "الدولة". يقول (س) لـ"عين المدينة" إنه لم يساعد أحداً منذ شهرين، ولا يتوقع أن يفعل ذلك في وقتٍ قريب. و"داعش هي السبب، لا رحمت الناس ولا خلّت رحمة رب العالمين تنزل". يصمت قليلاً ليتأكد أن لا أحد يسمعه ويتابع: "وما يهتمّون بفقير ولا جريح ولا محتاج. وهو شاطرين إلا بتخويف الناس".

يشرح (س) طريقة عمله السابقة، ضمن مجموعةٍ من الناشطين: "دائما كنا نجدّد بقوائمنا، ونسأل عن النازحين والجرحى وعن الأيتام. وما نعطي إلا المحتاج واللي يستحق المساعدة". ويبدي رضاه عن عمله السابق، فقد بذلوا كلّ ما يستطيعون من جهدٍ في خدمة الناس، بحسب ما يقول.

تراجع النشاط الأهليّ بشكلٍ كبير في دير الزور ابتداءً من شهر حزيران الفائت، وهو الشهر الذي أكملت فيه "الدولة الإسلامية" سيطرتها على المحافظة. وخضع المشتغلون في أعمال الإغاثة والخدمات لتحقيقاتٍ حول عملهم السابق، وألقي ببعضهم في سجون التنظيم بتهم مختلفة. ولم تتضح حقيقة موقف تنظيم "الدولة" من هذه النشاطات إلا مؤخراً، إذ لم يعد الأمر مجرّد حرص على النزاهة -كما زعم سابقاً المقرّبون من التنظيم- بل تأكدت رغبته في الاستحواذ والسيطرة على كلّ مفصلٍ من مفاصل الشأن العام، إلا في النواحي التي يدرك تماماً أنه عاجزٌ عن القيام بها. ورافق سلوك "الدولة" هذا إيقافٌ شبه كاملٍ لأعمال المنظمات ذات الطبيعة الإنسانية والخدمية العاملة في المحافظة، بموجب تعميماتٍ أصدرتها الدول المانحة لها، التي تخشى استفادة تنظيم "الدولة" من هذه الأعمال. مما يدفع بالعمل الخيريّ في دير الزور، بأنواعه المختلفة، والخدميّ، إلى الهاوية، وخاصةً مع إحجام منظماتٍ أخرى مثل الهلال الأحمر عن العمل هناك. ويتساءل معلم مدرسةٍ من مدينة البوكمال عن الحكمة في موقف المنظمات الدولية هذا وعن المتضرّر الحقيقيّ منه، فـ"عناصر داعش ياكلون أحسن أكل وما تأثروا أبداً بهالقرارات، لكن النازح والفقير واليتيم والجريح هو اللي راح يجوع". ويضيف المعلم أن هذا القرار يؤكد أن الدول التي أصدرته إنما تعامل "داعش" على أساس أنها دولة، وأصدرته كشكلٍ من أشكال العقوبات التي تسلكها بعض الدول نحو بعضها في أوضاع الأزمات. وينبّه إلى أن الرأي الذي يقول إن على "داعش" أن تتحمل مسؤولية الناس هو رأيٌ خاطئ، لأنه يفترض المسؤولية في جماعةٍ تفتقد إليها، بحسب ما يقول.

وبحسب ناشطين، تتحمل "داعش" المسؤولية الأولى عن هذا الحرمان، ولكن يجب على المؤسسات والجهات الداعمة مراجعة مواقفها، لأنها حتماً لا ترغب في معاقبة الطرف الأضعف من المعادلة، وهي لن تلحق أيّ ضررٍ بموارد "داعش" التي لن تنفق على الأعمال الإغاثية شيئاً. ففي البوكمال، على سبيل المثال، وبعد إغلاق جمعية أهل الحديث الخيرية المختصّة برعاية الأيتام؛ لم يُبدِ أمراء "داعش" أيّ اهتمام يذكر بـ(500) يتيم كانت ترعاهم هذه الجمعية، ولن يقدّموا لهم -في حال اهتمّوا بمصيرهم- ما كانت تقدّمه لهم "أهل الحديث" أو غيرها من الجمعيات الخيرية المتوقفة عن العمل.

لم تصمد أمام شروط تنظيم "الدولة" وتضييقه الشديد على المنظمات الإنسانية إلا القليل منها، ولوقتٍ قصير، بحسب ما حدث في مدن المحافظة المختلفة. ففي مدينة دير الزور توقف مطبخ منظمة روافد الخيرية عن العمل، وهي في طريقها إلى إيقاف باقي أعمالها. وكذلك توقفت الأعمال الإغاثية في كلٍّ من مدن الميادين والبوكمال وموحسن والقورية والعشارة.

دير الزور | من موقع أورينت نت

أمام سجن داعش في مدينة الباب
آباءٌ وأمهاتٌ يسألون عن مصير أبنائهم

كمال الفواز

صدفةً يلتقي أشخاصٌ من مدنٍ وبلداتٍ مختلفةٍ على باب المحكمة، ليبوح كلٌّ منهم للآخر بآلامه ومخاوفه على ابنٍ أو أخٍ أو قريبٍ ألقي به في سجنٍ من سجون تنظيم الدولة.

يقول كهلٌ أبيض الشعر إنه لا يعرف سبباً لاعتقال ابنه، مع ثلاثين آخرين من بلدة تادف. فهم مجرّد أشخاص عاديين ليست لهم علاقةٌ بأيّ شيء: "قال موظّفين عند بشار قال.. ابني عامل فرن مسكين عم يخدم الناس ما عم يخدم بشار بهالفرن.. وكل راتبه 15 ألف. وإذا ما بدهن ياه يشتغل لبشار يعطوه عالأقل 10 آلاف وأنا ما بخليه يروح لو تخرب الدنيا". يعلق شابٌّ من مدينة الباب أن والده مسجونٌ بالتهمة نفسها، وأنه قد اعتقل مع مئة شخص آخر لأنهم موظفون: "أبوي مريض قلب. ولو ما هالراتب ما كان سافر لحلب أول كل شهر وتحمل كل هالعذاب. ولو يعطوه بدل هالراتب أنا بضمنه ما يتحرّك خطوة لهنيك".

بالتنقل بين أجزاء حلب الخاضعة لسيطرة قوىً مختلفةٍ يصبح الموظفون الحكوميون موضع اشتباهٍ من الجميع؛ فلا توفر مخابرات الأسد وشبيحته أحداً من هؤلاء الموظفين من تهمة العمالة ومساعدة "الإرهاب"، وكذلك يفعل عناصر التنظيم معهم حين ذهابهم وعودتهم لاستلام الراتب أوّل كل شهر. إلا أن قضايا الموظفين المسجونين لدى التنظيم تعدّ من أهون القضايا، إذ لا يتأخر إطلاق سراحهم عادةً. كما ينصح رجلٌ سمع الحديث السابق: "احمدوا ربكم شغلتكن سهلة". ثم يهمس بصوتٍ أخفض أن تهمة ابنه، المعتقل منذ خمسة شهور، خطرة، فهو "إعلامي". لكنه، كما يقول الرجل: "كان إعلامي. بس والله اعتزل كلشي لما بلشت المشاكل بينهن وبين الجيش الحرّ.. من خمس شهور مسجون ولسا ما تحاكم وما خلوني أشوفه.. عشرين مرة رحت وجيت وما شفته". ويضيف الرجل بنبرةٍ يائسةٍ أنه بدأ يفقد الأمل، وليس له إلا الله ليأخذ حقه: "محكمة المظالم قالوا لما يطلع ابنك من السجن خليه يجي هو يشتكي.. ليش أنا أعرف ابني عايش وإلا ميت.. حسبي الله عليهم".

كما في محاكم النظام، ليس للوقت أو لكرامة الناس أية قيمةٍ لدى عناصر التنظيم وقادته، فقد يُلقى بأيّ شخص لأشهرٍ في السجن، وبتهمةٍ تافهةٍ، بانتظار أن ينظر القاضي فيها. ولا يكفي ثلاثة قضاةٍ فقط، هنا في الباب، للنظر في العدد الهائل من القضايا وحالات الاعتقال. وبحسب رواياتٍ كثيرةٍ يتناقلها السكان، لا يحترم هؤلاء القضاة وعودهم الشفهية للمراجعين بتسريع النظر في القضايا. وكثيراً ما سمع المراجعون منهم جملة: "روح وتعال بعد 15 يوم"، ثم يتكرر الطلب ذاته عدّة مرات. وتضاعف المعاناة حالاتُ غياب القاضي أو تأخره.

قريباً من شباك الاستعلامات تتوسّل عجوزٌ بصوتٍ عالٍ: "الله يوفقك.. والله أنا جاية من دير الزور.. خليني أشوفه.. والله ما أقدر أمشي فشلون أروح وأرجع بعدين". يجيبها عنصر الاستعلامات بأنه لا يستطيع مساعدتها في وقت التحقيق فتصرخ العجوز: "والله خايفة أموت وما أشوفه.. كان رايح يشتغل بتركيا وسجنتوه... ليش ساجنينه؟". يزجرها العنصر: "ابنك جيش حرّ، ولقينا بجوّاله صور جيش حرّ. وما راح تشوفيه إلا يخلص التحقيق". تشهق العجوز "جيش حرّ؟ ابني والله مو جيش حرّ. كان يشتغل بالمازوت. والصور مو إله، هاي لقرايبه وربعه.. خليني أشوفه والله ما لي غيره".

يخضع الشبان المارّون عبر حواجز التنظيم لتفتيشٍ جسديٍّ دقيق. ويعتبر العثور في جوّالاتهم على صورٍ لمقاتلي الجيش الحرّ، أو لشعارات الثورة أو لعلمها، تهمةً كبيرة. ولا تفلح في بعض الحالات عمليات حذف الصور، فقد يستعيد عناصر التنظيم العناصر المحذوفة من الهاتف. إضافةً إلى استعراض المحادثات للبحث عن جملةٍ تنتقد التنظيم أو تشير إلى موقفٍ ما ضدّه.

على أبواب سجون التنظيم يقف كل يوم عشرات الآباء والأمهات والأخوة ساعاتٍ طويلة، على أمل أن يحظوا بوعدٍ بالإفراج أو فرصة زيارةٍ أو عبارةٍ تطمئنهم إلى أن من يسألون عنه ما زال على قيد الحياة.

من إصدارات التنظيم

مرافعةٌ عن الشيخ الشهيد عمّان النجرس

ضحيةٌ أخرى من ضحايا التنظيم، بعد ثلاثة أشهرٍ من الاختطاف

المستشار أحمد توفيق

في اليوم الأول لسيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على مدينة العشارة في ريف دير الزور الشرقيّ، اعتقل مقاتلو التنظيم الشيخ عمّان النجرس بتهمة ممارسة السحر. لتختفي آثاره بعد ذلك، ولمدة ثلاثة أشهر، إلى أن أبلغ ذووه بنبأ وفاته في وقتٍ سابق.

الشهيد عمّان النجرس

وتضاربت الأخبار التي تحدّث بها عناصر التنظيم حول طريقة الوفاة، بين من يقول بأنه قتل أثناء اشتباكٍ وقع قرب مدينة الشدّادي، ومن يتّهم شخصاً من بلدةٍ أخرى بقتل الشيخ، ومن دون أيّ سياقٍ منطقيٍّ في كلتا الروايتين. وتسلمت عائلة الشيخ شهادة ببراءته من تهمة ممارسة السحر المنسوبة إليه، من المحكمة الإسلامية في الميادين.

في هذه القضية -وغيرها- يُطرح السؤال حول شرعية محاكم التنظيم، وعن الأساس الشرعيّ والقانونيّ الذي أنشئت عليه. وبالموافقة جدلاً على حكم التغلب والسيطرة، الذي يسوقه البعض دفاعاً عن شرعية هذه المحاكم، تُطرح أسئلةٌ أخرى تشير إلى جملة من الأخطاء الفادحة التي وقع فيها الجهاز الشرعيّ أو القضائيّ للتنظيم بخصوص قضية الشيخ عمان. يمكن تحديدها انطلاقاً من الاشتراطات التالية:

- أن تكون هناك شكوى أو ادّعاءٌ او إبلاغٌ من شخص معلوم ذي مصلحة حقيقية في هذه الشكوى. وفي حال اعتبار القضية مصلحةً عامةً يجب أن يكون الجرم مشهوداً.
- أن يتمّ القبض على المتهم بصورةٍ رسمية، ودون الانتقاص من كرامته.
- أن يكون مكان الاحتجاز معروفاً، لكي يتمكن ذوو المتهم من زيارته والاطمئنان عليه. وأن يتوافر له حق الدفاع عن نفسه.
- أن تكون المحكمة ذات مقرٍّ معروفٍ، وأن يكون القاضي شخصاً معلوماً.
- أن تجري المحاكمة علناً، ويصدر الحكم بالبراءة أو الإدانة في جلسةٍ علنية.

ولم يتحقق أيٌّ من هذه الشروط؛ فقد اعتقل الشيخ بطريقةٍ تعسفيةٍ وبشكلٍ مهينٍ لشخصه ولعائلته. ثم سيق إلى جهةٍ مجهولة، ولم يُعرف مكان احتجازه، ولا اسم القاضي الذي نظر في قضيته. ولم تحدّد كذلك المحكمة صاحبة الاختصاص، ولا مكانها. ولم يُعلم أيٌّ من حيثيات الدعوى. فكيف تبيّن للمحكمة الإسلامية أنه مذنبٌ أو بريء؟ وكيف يُعرف أيضاً إن كان قد خضع لمحاكمةٍ أم لا؟ ثم ماذا تعني شهادة البراءة التي قدّمتها المحكمة لذويه في اليوم الذي أبلغوا فيه نبأ وفاته؟

وقعت مظلمة الشيخ منذ لحظة مداهمة منزله ثم اعتقاله، وبتهمةٍ تسبق سيطرة التنظيم على البلد الذي حكم التنظيم نفسه على أهله بالردّة والجهل بأصول الدين قبل الاستيلاء عليه، مما يعفي المتهم من تبعات التهمة. ويستحيل أن يقع الجرم في الساعات الأولى

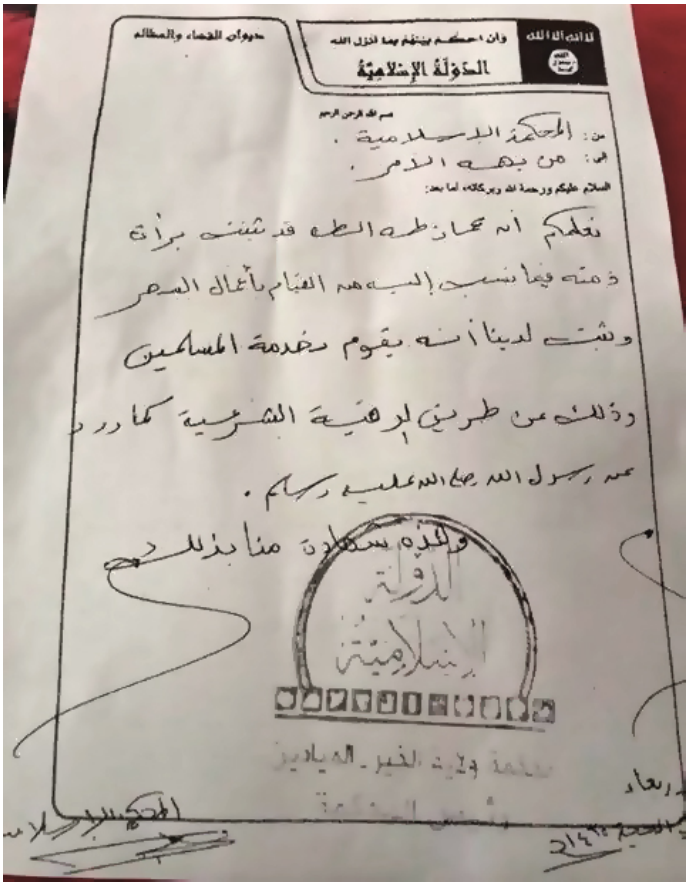

لسيطرة التنظيم. ولم يُراعَ، في حال وقعت هذه الاستحالة، مبدأ درء الحدود بالشبهات.

وتكشف شهادة البراءة، الصادرة عن محكمة الميادين الإسلامية، جهلاً فاضحاً بالأحكام والمصطلحات. فعبارة "ثبتت براءة ذمّته" مصطلحٌ مدنيٌّ لا يلائم الطبيعة الجزائية للتهمة. كأن نقول: "ثبتت براءة ذمّته من الدَّين"، والصواب في سياق الحال هو: "ثبتت براءته من الجرم المنسوب إليه". إذ إن العقوبة تتعلق بشخص المتهم وليس بذمته المالية. وتكشف ورقة البراءة أيضاً عن خطأ إملائيٍّ لا يجوز أن يصدر عن قاضٍ. وتوجب هذه الشهادة على التنظيم العائدة إليه أن ينفذ القصاص من القاتل والمسؤول عن القتل والمشارك فيه والمسهل له، وهذا ما لن يتحقق في سلطةٍ أو من قضاءٍ تتغلب خصال الجريمة فيه على أيّة خصالٍ أخرى. ولا تحتاج السيرة الحسنة لرجلٍ مثل الشيخ عمان لأية شهادةٍ من قبل قاتليه. وهو الرجل المحترم في بيئته، والمشهود له بالصلاح والتقوى والسيرة المحمودة من كلّ عارفيه.

الشيخ عمّان النجرس من مواليد العشارة 1947. متزوّجٌ وله 11 ولداً. حائزٌ على دبلوم الدراسات العليا في الحديث والدراسات الإسلامية من جامعات المملكة المغربية منذ العام 1986.

تجنيد الأطفال في صفوف داعش

الكفر والردّة أوّل الأحكام التي يطلقها الفتية المتخرّجون من معسكرات التنظيم على عائلاتهم

أحمد الصالح

في دير الزور، وفي المحافظات الأخرى الخاضعة لسيطرته، يعمل تنظيم "الدولة الإسلامية" على تجنيد الأطفال والمراهقين، ويولي اهتماماً بالغاً بهذه العملية، مسخّراً لها جزءاً كبيراً من نشاطه الدعويّ. فهي أحد الأساليب الرئيسية التي يتّبعها لإعادة بناء المجتمع من جديد.

في الشوارع الرئيسية وفي الحارات، ينشط أصحاب الوجوه المبتسمة، كما يصفهم أحد ناشطي مدينة الميادين، قاصداً بذلك عناصر الدعوة التابعين للتنظيم أثناء عملهم الميدانيّ المركز على الأطفال واليافعين قبل أيّة شريحةٍ عمريةٍ أخرى. فمقابل القسوة والخشونة التي يبدونها للرجال والنساء من مختلف الأعمار، يُظهر عناصر التنظيم لطفاً وليونةً بالغتين نحو الأطفال، بغاية اكتساب محبتهم وإعجابهم.

يخبرنا حسان، وهو بائع أجهزةٍ كهربائيةٍ من الميادين، قصة "أجيره" الصبيّ الذي ترك العمل والتحق بالتنظيم: "كان يزورنا مهاجر عالمحل، ويتودّد للولد، ويقل له إنه إذا صار معاهم راح ياخذ راتب شهري أضعاف ما ياخذه من الشغل بالمحل، وأنه راح يساعد أهله بهالراتب، وأنه راح يرضي رب العالمين لما يصير مع الدولة". ويذكر أبو محمد طريقةً أخرى من طرق اجتذاب الأطفال التي يتّبعها عناصر التنظيم، إذ يراقبون ميولهم واهتماماتهم ويخاطبونهم انطلاقاً منها. وهذا ما فعلوه مع ابنه المعجب بأنواع الأسلحة، إذ وعده أحد المهاجرين بأن يقدّم له مسدساً كهديةٍ إن التحق بمعسكرات التدريب التي أنشأها التنظيم في مناطق مختلفةٍ من محافظة دير الزور.

وفي كلّ هذه المعسكرات يشارك أطفالٌ ومراهقون كثر، يخضعون لتدريباتٍ عسكريةٍ شاقةٍ ودروسٍ في فقه التنظيم وعقيدته. وتكون الأسابيع الثلاثة التي يقضيها الطفل أو المراهق -وهي المدّة التي تستغرقها معسكرات التنظيم في المرحلة الأولى- كافيةً لعملية غسيل الدماغ أو إعادة التشكيل. يقول عبد الله، وهو شابٌّ في أول الثلاثينات، خضع لمعسكرٍ تدريبيٍّ قبل أن يترك التنظيم: "كان معنا أطفالٌ ومراهقون، يتدرّبون مثلنا ويعامَلون كما نعامَل من حيث صرامة التدريب والقسوة فيه، مما يجعلهم يشعرون بالثقة بالنفس والإحساس بالمسؤولية". وبحسب قوله، يعرض المدرّبون مقاطع فيديو لعمليات ذبح حقيقيةٍ "للكفرة والمرتدّين"، في دروس خاصّة تعلّم طريقة "الذبح السليم". ويكرّر المدرّبون دوماً على أسماع الأطفال قصة الصحابيّ أسامة بن زيد، الذي قاد جيشاً من جيوش المسلمين وهو في سنّ السابعة عشرة. ويلاحظ عبد الله أن تخريب علاقة الأطفال بذويهم وتمرّدهم عليهم هو واحدٌ من أهداف التدريب. إذ يعتقد المدرّبون بضرورة تربيةٍ متطوّعيهم من جديدٍ وفق ما يريد التنظيم، وبما يخالف تربية الأهل، التي ينظر إليها المدرّبون على أنها سببٌ من أسباب الفساد المستشري في المجتمع. ويشكو آباء وأمهات الفتية المتخرّجين من معسكرات التنظيم من تغيّر طباع أولادهم، واكتسابهم لسلوكٍ عدوانيٍّ تجاه عائلاتهم وبيئاتهم السابقة، ولكلّ ما

من أحد معسكرات الأطفال في تنظيم الدولة

يخالف ما تعلّموه أو لُقّنوه خلال التدريب. فتقول إحدى الأمهات إن ابنها المراهق وصفها بـ"الكافرة"، وهدّدها أنه يمكن أن يقتلها، بعد مشاجرةٍ مع أخته التي تحب سماع الأغاني. ويروي أبو خالد قصةً شبيهةً مع ابنه الذي تمرّد ولم يعد يطيعه أبداً، قبل أن يهجر المنزل نهائياً، لأنه مليءٌ بالمعاصي حسب ما يقول الفتى. ويتتبع معظم قصص الأطفال المعجبين بالتنظيم أو المنتسبين إليه يمكن الوصول إلى ذات النتائج.

تقول اختصاصية النفسية آية مهنا إن التشرّد والموت اللذين أفرزتهما الحرب أفقدا المراهقين والأطفال الشعور بالأمان الذي كانت تمنحه العائلة في ما مضى، وهذا ما يجعلهم في حالةٍ من الضياع النفسيّ والفكريّ، وخاصةً المراهقين في المرحلة التي تُطرح فيها لدى الإنسان أسئلةٌ كثيرةٌ عن كلّ القيم والمعتقدات التي اكتسبها في المراحل السابقة، وهو ما سهّل على التنظيم عملية غسيل الأدمغة، فهو يملك إجاباتٍ "دقيقةً" في كلّ الشؤون الاجتماعية والدينية، لا يجدها المراهق لدى الأهل أو الأصدقاء أو المحيط السابق، بحسب ما تقول مهنا. وتضيف أيضا عاملاً آخر من عوامل الإغواء هو الشعور بالحماية والرعاية والقوّة الذي يمنحه التنظيم، فـ"الدولة" تحمي أنصارها وتدافع عنهم.

"فوبيا" القصف لدى الأطفال:
اضطرابات ضغط الدم وسلس البول وفقدان القدرة على النطق أبرز الأعراض

سقراط علي

لا توجد أرقامٌ عن عدد الأطفال المصابين بأعراضٍ مرَضيةٍ ذات منشأٍ نفسيٍّ نتيجة أعمال الحرب في محافظة دير الزور. ولكن، وبحسب ما يلاحظ مهتمون بـ"فوبيا" القصف، فإن واحداً من بين كلّ خمسة أطفالٍ يصاب بآثارٍ مؤقتةٍ أو دائمةٍ نتيجة تعرّضه لمواقف مرعبةٍ أثناء عمليات القصف بأشكالها المختلفة.

في مدينة موحسن -شرق دير الزور- يذكر أحد الأطباء لـ"عين المدينة" أنه وثّق لوحده (37) حالةً مرَضيةً لدى الأطفال، تسبّبت بها عمليات القصف الجوي والمدفعي لطائرات الأسد على المدينة. ويقدر الطبيب أن العدد الكليّ للإصابات يفوق هذا الرقم بكثير.

أحمد (6 سنوات) أحد ضحايا الغارات الجوية. وتقول عائلته إنه كان نائماً حين دمّرت طائرةٌ أسديةٌ منزلاً مجاوراً لهم، محدثةً انفجاراً هائلاً دفع به إلى الركض والصراخ بشكلٍ هستيريٍّ لم يتوقف عنه إلا بإسعافه إلى المشفى الميدانيّ حيث أعطي المهدئات، ليفقد بعد ذلك بساعاتٍ قدرته على الكلام. يقول أبوه: "بالمشفى لما فاق من النوم، صار يبكي ويأشر على إنمه أنه ما يقدر يحكي". ولعائشة (7 سنوات) قصةٌ أخرى مع التبول اللاإراديّ الذي أصيبت به جرّاء الغارات الجوية، مما أصابها بحرجٍ شديدٍ، فتوقفت عن اللعب من أقرانها وأخذت تميل إلى العزلة والبقاء في البيت. ولم يخفّف الهربُ بعيداً عن موحسن من حالة محمود (10 سنوات)، الذي أصيب بانهيارٍ عصبيٍّ بعد أن سقطت قذيفةٌ قريبةٌ أدّت إلى بتر قدم شقيقه. فما زال محمود، ورغم نزوح عائلته إلى الأراضي التركية، يعاني من كوابيس ليليةٍ وحالات هلعٍ مفاجئٍ لدى سماعه أيّ صوتٍ مرتفع. وسجلت أيضاً حالة بلوغٍ مبكرٍ لطفلةٍ لم تتجاوز السادسة، نتيجة تعرّضها لموقفٍ مرعبٍ صاحب إحدى الغارات.

وأثناء الغارات أو القصف المدفعيّ تحاول معظم العائلات صرف انتباه ابنائها عن أصوات الانفجارات المخيفة، برفع صوت التلفاز مثلاً، أو إدخال الأطفال إلى غرفٍ مغلقة، أو نقلهم إلى أماكن بعيدةٍ إن توافرت وسائط نقلٍ في نوبات القصف التي تمتدّ لوقتٍ طويل. إلا أن هذه المحاولات لا تجدي بأيّ نفعٍ في المرّات التي تستهدف فيها مناطق قريبة.

يذكر الأطباء عدداً من الحالات المرضية ذات المنشأ النفسيّ لدى الأطفال بفعل الحرب، منها فقدان القدرة على النطق والخوف المتواصل والانفعال الشديد والنوبات الاكتئابية الحادة، ويترافق ذلك مع أعراض سلس البول واضطرابات ضغط الدم والإقياء والغثيان وغير ذلك من الأعراض والعادات الطارئة في سلوك الطفل وصحته. ولا تلقى هذه القضية القدر الكافي من الاهتمام، إذ تعدّ أمراً ثانوياً في ظلّ الظروف الصعبة التي يمرّ بها السكان. ولا يمكن معالجة هذه الظاهرة إلا بتطبيق برامج رعايةٍ تنفذها مؤسساتٌ مختصّةٌ تبدأ من إبعاد الأطفال عن العوامل والظروف المسبّبة. والجدير بالذكر هنا هو توقف كلّ المنظمات المحلية المهتمة بالأطفال عن العمل بعد سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على محافظة دير الزور.

تنظيم "الدولة" يغلق مدارس دير الزور

عبود المحمد

لم تثنِ اعتراضات الأهالي، في محافظة دير الزور، تنظيم الدولة الإسلامية عن قراره الأخير بإغلاق المدارس إلى أجلٍ غير مسمّى. وبحسب مقرّبين من التنظيم، لن يُعاد افتتاحها حتى تكتمل المناهج التعليمية الجديدة ولكافة المراحل، مما يعني انهياراً كاملاً لعملية التعليم بمجملها، وضياعاً حقيقياً لمستقبل آلاف الطلاب من أبناء المحافظة.

يقول بعض الآباء الغاضبين إنهم سيهاجرون بعيداً عن سيطرة التنظيم إلى أمكنةٍ يستطيعون فيها تعليم أبناءهم، ويرى آخرون في "التعليم المنزليّ" حلاً يمكن لهم تطبيقه، ويفكر البعض بافتتاح نقاطٍ أو خلايا تعليميةٍ في الأحياء باستخدام بعض البيوت. إلا أن جميع هذه المحاولات، إن كتب لها النجاح ونجت من تسلط التنظيم، لا يمكن أن تكون بديلاً عن التعليم في المدارس بشكله المعروف، ولن تحقق الأهداف المطلوبة من العملية التعليمية.

قبل سيطرة التنظيم على دير الزور لم يكن التعليم بخير، لكن مشكلاته كانت قابلةً للمعالجة، وكان يمكن للمبادرات التي تقوم بها هيئاتٌ ومؤسساتٌ محليةٌ أن تخفّف من آثار هذه المشكلات. وقبل سيطرة التنظيم أيضاً نجحت الحكومة المؤقتة، ومن قبلها الهيئة العليا للتعليم، في إجراء امتحانات الشهادتين الثانوية والإعدادية للعامين الماضيين

معجم الثورة الشعبيّ

علي خطاب

(أنت أنت الدمّرتنا).. رغم الجانب الساخر في هذه العبارة، التي انتشرت عبر مقطع فيديو لأحد مقاتلي الجيش الحرّ وهو يمازح شاباً مجنوناً، إلا أنها تحمل، حين تتردد بين أهالي مدينة دير الزور، شحنةً كبيرةً من القهر والشعور بالغبن، وبخيانة جميع الأطراف السياسية والعسكرية لأهداف الثورة وللشعب. وقد أصبحت مثل هذه العبارات مصطلحاتٍ تحمل مفتاحاً سرّياً يختصر الكثير من الدلالات والألغاز المتفاهم عليها شعبياً. فشكّلت، إلى جانب كلماتٍ ومفاهيم وتراكيب أخرى، ما نستطيع أن نطلق عليه معجم الثورة الشعبيّ.

وقد تعدّدت المصادر التي استقى منها الأهالي مصطلحاتهم، وأهمها الواقع المعاش ووسائل الإعلام والاختصاصيون، وبدرجةٍ أقلّ الأحزاب والتنظيمات والهيئات التي أفرزتها الثورة.

عن الحرب وأدواتها:

شكلت الخدمة الإلزامية، التي خضع لها قسمٌ كبيرٌ من الرجال، معيناً نهل منه الأهالي تسمياتٍ لما واجهوه من أسلحةٍ في قمع الثورة. عرفوا في البداية (الكلاشينكوف، آر بي جي، الدبابة)، فراحوا يطلقونها على كافة الأسلحة التي استعملها النظام، دون تمييز بينها. ومع ظهور السلاح بين فئاتٍ معارضة، وبروز ظاهرة المنشقين -دون إغفال الدور المهمّ الذي لعبه الإعلام- أصبح الأهالي، بعد معاينةٍ قريبة، يميّزون، وبحسب الصوت والانفجار، بين الأسلحة المتوسطة والثقيلة. فتُدوولت مسمّياتها بلهجةٍ محلية، من مثل (12,5 اثنعش ونص)، (14 أربعطعش)، (صاروخ أرض أرض أبو شخرة)، وغيرها. كما انتشرت تسمياتٌ تميّز أنواع بارودة الكلاشينكوف (أم السواجي، أم الصاروخ، تبوكية، بن لادن). ثم أصبح الطيران يقسّم، بحسب صوته وشكله، إلى (حربيٍّ ومروحيّ). ويجلب معه إما التحليق (للاستطلاع) والتخويف فيخرق معه (جدار الصوت)، أو أن يلقي أربعة صواريخ في (الغارة) الواحدة ويرحل.

وبسبب تعقيد العلاقات الاجتماعية، والحاضنة التي يملكها مقاتلو الجيش الحرّ، فقد أضافوا إلى أحاديث المدينة اليومية مصطلحات تكتيكٍ عسكريٍّ مستوحاةً من الجيش النظاميّ، لكنها راجت إلى حدٍّ بعيد، مثل: (اشتباك، قطاع، طلاقية، نوبة، تمشيط، منطقة محرّرة، كمين). ومع امتداد الحرب أصبح الحرّ ينتج مصطلحاته الخاصة لسلاحه محليّ الصنع، فظهر مدفع أبو كطنة (مدفع هاون يستعمل القطن في حشوته الدافعة)، صاروخ محليّ، مدفع جهنم (جرة الغاز)، جلكانة (أسطوانة محشوة بال ت ن ت)، اكرة (قنبلة محلية الصنع)، القبضة (جهاز اللاسلكي). وتطلبت (حرب الشوارع) التي استعملها الحرّ لإنهاك الخصم نوعاً من السرّية، فأطلق أسماء جديدةً على الحارات التي (يرابط) فيها، مثل (العين الساهرة) و(باب الحارة).

صبّ من دمك للحرية:

ما زالت الفترة السلميّة هي الثورة المثالية بالنسبة إلى الكثير من الأهالي في المدينة. فيتذكرونها بمزيدٍ من التقدير والإعجاب والتحسّر على انقضائها. ويعدّونها من الماضي الجميل الذي يتداولون ذكرياته في مجالسهم. وما زال بعضهم متمسكاً بسلميته. وهؤلاء، ممن يُطلق عليهم (جماعة صبّ من دمّك للحرية)، ساهموا في الإبقاء على مصطلحات العمل السلميّ في حيّز التداول، مثل: (ناشط، مشفى ميداني، منظمة، إعلامي، داعم، مجلس محلي، حلّ سياسي). أما باقي مفردات تلك المرحلة، كالهتّيف (من يردّد المتظاهرون هتافاته)، والثورجي، والمظاهرة الطيارة؛ فقد انحسر استعمالها بسبب ظروف الحرب، وخشية الناس من ردّة فعل تنظيم الدولة عليها.

ولكن الحصّة الأكبر بين المصطلحات التي ساعد الناشطون في إدخالها كانت في المجال الإغاثيّ، بسبب الحاجة الماسّة التي تعصف بسكان المدينة في ظلّ الحصار والحرب. فهناك المنظمة والمطبخ المجانيّ والسلة الغذائية والمعونة (يلفظها البعض معينة). كما أطلقت تسمية (بيت شباب) للدلالة على أن البيت تسكنه مجموعةٌ من الناشطين أو المقاتلين، و(بيت نازحين) وتلحق بالعبارة المنطقة التي جاؤوا منها.

ورغم التلاقح الثقافيّ الذي تمارسه وسائل الإعلام والمثقفون والناشطون يبقى للثقافة المحلية طابعها الخاصّ الذي أفرز مصطلحاته، كالمعبار (مكان العبور في ظل الحصار)، والعوايني أو الداسوس (المخبر أو الجاسوس)، والزاجل (المقاتل من الريف)، والدعدوشي (العنصر في تنظيم الدولة)، وخلف (رامي مدفعية النظام)، والعرعورية (سيارة مهرّبة)، والنفّيطة (من يعملون في بيع النفط وتكريره بالحرّاقات). كما عادت الأسماء القديمة للأماكن إلى التداول، بعد أن كان استعمالها مقتصراً على كبار السن، كما في (الجسر اليوغسلافي - بدل السياسية في ظلّ النظام)، (القشلة - بدل الهجانة)، (الاعيور - بدل البعث).

مع تنظيم الدولة:

منذ عسكرة الثورة والكتائب الإسلامية تؤسّس امتداداً لها عبر النشاطات الاجتماعية المتعدّدة التي تمارسها أو تهيئ لها، كالمحاضرات وحلقات التعليم في المساجد، مما أسهم في نشر المفاهيم والمصطلحات التي تتداولها هذه الجماعات، كالبيعة (كانت تعني الالتزام بأوامر القائد الميدانيّ)، والأنصار (العناصر الذين يقدمون المساندة والدعم)، والدعوة (كان يفهم منها الإقناع في المرتبة الأولى)، والغنائم (التي ارتبطت عند البعض بالصالح العام، واعتبرها البعض الآخر حقاً شخصياً). ومما ساعد في تناول الأهالي لتلك المصطلحات، التي لم تغب يوماً عن أحاديثهم في الماضي، هو أنها تنهل من الذاكرة الجماعية المرتبطة بالدين الإسلاميّ. ثم، شيئاً فشيئاً بدأ يظهر (المهاجرون) وهم يربطون (حزاماً ناسفاً)، والذين اتفق الجميع على أن (الجزراويين - السعوديين) أفضلهم.

وفي ظلّ الخلاف بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة راجت مفردات (المرتدّين والمرجئة والتمكين والأمير والخلافة) بين الناس من مناصري هذا التيار أو ذاك، مع الكثير من التشوّش والتذبذب والاستغراب، بل وربما التندّر. واليوم ما زال الكثير من الأهالي يطلقون تسمية (داعش) سرّاً على تنظيم الدولة، خوفاً من العقوبة المترتبة على ذلك. ويناقشون المصطلحات الجديدة التي أدخلها إلى حياتهم بمزيج من الترقب والاستهجان، من مثل (شيخ - تُقال لأيّ شخص)، (استتابة - مراجعة أحد شرعيّي التنظيم لتسوية الأوضاع)، (تزكية – توصية من أحد الثقات)، (الحسبة – دوريات راكبة تبحث عن المخالفات في مسائل التدخين وزيّ النساء والصلاة على وقتها)، (دوغما أو العروس – السيارة المفخّخة).

رغم أن الظروف القاسية والاستثنائية تؤثر في اللغة إلى أبعد حدّ، لكن يبقى لمزاج الشعب وثقافته التأثير الذي لا يستهان به عليها.

في ولاية الفرات..

ما يزال سكّان البوكمال سوريين، وسكّان القائم عراقيين

هادي الفيصل

نحن الآن في أرض الخلافة، ونسافر بين مدينتين من الولاية ذاتها؛ ولاية الفرات التي تضم مدناً وبلداتٍ وأراضٍ من العراق وسوريا. الرحلة قصيرةٌ جداً.

في موقع البوابة الحدودية القديمة، تتوقف السيارة للحظاتٍ قبل أن يشير لها عنصر داعش بأن تواصل سيرها، دون أن يتحرّك من كرسيه، لندخل فوراً إلى مدينة القائم العراقية الملاصقة للحدود. بضع دقائق فقط لينتقل الراكب بين دولتين سابقتين.

يقول التجار إن فروق الأسعار تضاءلت إلى حدٍّ كبير بين المدينتين، وفق مبدأ "الأواني المستطرقة". إلا أن الفروقات الأخرى بينهما ما زالت على حالها؛ فآمال البوكماليين وآلامهم مختلفةٌ عن آلام وآمال جيرانهم في القائم، كما تختلف كثيرٌ من الأشياء بينهما. إذ تعدّ أكثرية سكان القائم -باستثناء مكوّنٍ عشائريٍّ واحدٍ- تنظيم داعش مخلّصاً من اضطهاد الإيرانيين، ممثلين بحكومة بغداد الطائفية، بينما ينظر سكان البوكمال إلى داعش باعتبارها احتلالاً جديداً بعد عامين من التحرّر من حكم الأسد.

ولا يتشابه خصوم داعش في المدينتين أيضاً، اذ يتحدّر معظم أعداء داعش في القائم من عشيرة "البومحل"، إحدى بطون قبيلة الدليم العربية السنية، والتي شكل أبناؤها، في بداية الاحتلال الأمريكيّ للعراق، كتيبة الحمزة لمقاومة هذا الاحتلال، قبل مساندته بعد خلافٍ مع تنظيم القاعدة آنذاك، تطوّر إلى صراع دام، لتكون الحمزة أو البومحل أحد المؤسّسين الأوائل لما عرف في ذلك الوقت بالصحوات. وبفعل الثارات والأحقاد القديمة لم يجد "بومحل القائم" بدّاً من التصدي لداعش أثناء تمدّدها الأخير في الصيف الفائت. وكانت آثار هذا التصدّي باهظةً عليهم، فتفرّق شمل هذه العشيرة بين مدن النزوح. وأعاد بعض شبانها النازحين في مدينة حديثة تشكيل كتيبةٍ تقاتل داعش، بذات الاسم و"العقيدة القتالية". في حين يعمل معارضو داعش في البوكمال بعقيدةٍ أخرى تنطلق من قيم مكافحة التسلط والظلم والحرية، وهي القيم ذاتها التي انطلقوا منها في ثورتهم على نظام الأسد. ولا يجمعهم نسبٌ أو مصلحةٌ -بحسب ما يقولون- إلا نسب الثورة السورية ومصلحتها.

هناك فارقٌ آخر بين كلٍّ من سكان القائم وسكان البوكمال، يصعب محوه في وقتٍ قريب؛ فذاكرة أبناء القائم تحمل أيام تفوّقٍ ونفوذٍ -كحال معظم سنّة العراق- في عهد صدام حسين، ولا توجد للبوكماليين أيامٌ كهذه في عهد حافظ الأسد. ولكن الثورة السورية التي أخلصوا لها منحتهم الفرصة ليشاركوا بشيءٍ ما في سوريا التي كانوا يعيشون على أطرافها قبل أن تخلعهم داعش منها وعلى الورق فقط، دون أن تخلع سوريا من قلوبهم ومن أنفسهم.

خلال إزالة تنظيم الدولة للساتر الترابي عند معبر القائم الحدودي

مؤسّسة البذار الحرّة: نخطّط لمشاريع بمليوني دولار، وأوقفت الحرب الزراعة في أراضٍ شاسعةٍ في ريف حلب الشماليّ

ميلاد بهنو

بعد رحيل المؤسّسات "الحكومية" المختصّة بتأمين البذار والأسمدة، من الريف الحلبيّ إلى المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، وقع الفلاحون في أزمةٍ كبيرةٍ في تأمين مستلزمات العمل الزراعيّ، وصارت البذار والأسمدة من السلع النادرة، وبالتالي تأثر الإنتاج الزراعيّ إلى حدٍّ كبير. مما دفع ببعض المهندسين الزراعيين، وبالتعاون مع مجلس محافظة حلب الحرّة، إلى إنشاء مؤسّسةٍ بديلةٍ تعنى بالشأن الزراعيّ وتعمل على تلبية احتياجات الفلاحين، وخاصةً الأسمدة والبذار.

يقول معن ناصر، مدير المؤسّسة المحدثة: "خلال سبعة أشهر من عمر مؤسّستنا أنجزنا أعمالاً كثيرةً أبرزها تقديم نحو ألفي طنٍّ من بذار القمح للفلاحين، إضافةً إلى كمياتٍ أخرى من بذار بعض الخضروات". ويعدّد ناصر الأعمال التي يقوم بها المهندسون الزراعيون الأحرار، كالجولات الميدانية إلى الحقول الزراعية، وتقديم النصح والإرشاد للفلاحين، وتأمين المبيدات الحشرية اللازمة لمكافحة الآفات. ويلحظ فلاحو ريف حلب الشماليّ فرق الأسعار والجودة بين منتجات المؤسّسة وبين ما هو معروضٌ في سوق المستلزمات الزراعية. ويؤكد أبو عمر، وهو فلاحٌ من مارع، أن لمؤسسة البذار الحرّة دوراً رئيسياً في استمرار زراعته لأرضه: "كنا نتعذب كثير، وخاصةً بتأمين البذار والسماد. واليوم، مع جهود الشباب، صار الوضع أحسن".

كان لخبرات المهندسين الزراعيين دورٌ كبيرٌ في ما حققوه من نتائج إلى الآن، إذ استطاعوا التغلب على العوائق الكثيرة التي تعترض عملهم، وتمكنوا من الحدّ من ظاهرة تدهور العمل الزراعيّ في بعض القرى التي ينشطون فيها "بما يستطيعون"، بحسب ما ينبّه فلاحو الريف الشماليّ.

فـ"بعض المشاكل أكبر من طاقتهم"؛ يعلّق أحد الفلاحين ويستشهد بالمعارك التي تندلع بين حينٍ وآخر في المنطقة. فعلى أطراف بلدتي مارع وتل رفعت خرجت مساحاتٌ شاسعةٌ من الأراضي الزراعية المنتجة عن العمل، بسبب اقتراب مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية وتحوّل هذه الأراضي إلى خطوط تماسٍّ وساحاتٍ لمعارك شبه يوميةٍ بين مقاتلي التنظيم، الذين لا يتورّعون عن عمليات القنص العشوائية، من طرف، ومقاتلي كتائب الجيش الحرّ من طرفٍ آخر.

ولا يبدو أن هذه المعارك يمكن لها أن توهن من حماس نشطاء الزراعة، بل ربما تزيد من إصرارهم على مواجهة التحديات، بحسب ما يقولون، "فعملهم ومنذ البداية في ظروف حرب". وهم اليوم يخطّطون لقائمة مشاريع بتكلفةٍ إجماليةٍ تتجاوز المليوني دولار؛ مشاريع يمكن لها أن تنجح رغم تهديد المعارك التي لا تتوقف.

غلاء المحروقات يعيد استخدام طرق الحراثة القديمة | مارع | عدسة وسام حلبي

تنظيم الدولة يهتمّ بزراعة دير الزور

فراس العمري

على أبواب موسم شتويٍّ جديدٍ ينشغل فلاحو دير الزور بهمومهم الخاصّة، في جوٍّ يميل إلى الاستقرار من الناحية الأمنية، في ظلّ سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية. وكما في أيّ مكانٍ آخر، تأتي الأسمدة والبذار والمحروقات في أول لائحة المستلزمات الزراعية. وتتفاوت استجابة مسؤولي التنظيم من قريةٍ وبلدةٍ إلى أخرى، ممثلين بمكاتب خدمات المسلمين، وهي هيئات التنظيم التي تقوم مقام المجالس المحلية في المناطق المحرّرة.

وبحسب ما يقول مؤيدو التنظيم، وعد وزير زراعة ولاية الخير -الجزء الأكبر من محافظة دير الزور- بتأمين السماد بأسعارٍ مدعومة. ويرافق وعود "الوزير" اهتمامٌ متزايدٌ من قبل مسؤولي التنظيم بالشأن الزراعيّ، تمكن ملاحظته بإصرارهم على استعادة كافة الآليات والمعدّات والتجهيزات المشغلة سابقاً في مشاريع الريّ الكبرى المنفذة في أجزاء كبيرةٍ من ريف دير الزور الشرقيّ، والتي تعرّضت للنهب من قبل لصوصٍ محليين -كما حدث في قطاعاتٍ أخرى- وكذلك صيانة أقنية الريّ الرئيسية والثانوية في هذه المشاريع. ولكن، حسب ما يقول مهتمّون بالزراعة في دير الزور، المشكلات أكبر من إمكانيات حكام المنطقة الجدد، فهي مشكلاتٌ قديمةٌ مما قبل الثورة. والتركيز على الريّ وحده لن يكفي في ضوء ارتفاع الأسعار، وغياب نظام إقراض الفلاحين، وتملح التربة في مساحاتٍ شاسعةٍ بسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية، وغير ذلك من العوائق التي تستدعي خطةً مدروسةً يضعها خبراء مختصّون. ويشير هؤلاء إلى دور محتملٍ يمكن أن تلعبه منظماتٌ دوليةٌ ذات صلة، كالهلال الأحمر ومنظمة الفاو وغيرها.

تجّار النفط الخام: رغم ضياع البركة، عملنا حلال

مالكو الصهاريج يفضّلون الفوضى على صرامة تنظيم الدولة، رغم قضائه على قطّاع الطرق

محمود ذياب

ظهرت، منذ أكثر من عامين، تجارةٌ جديدةٌ هي تجارة النفط الخام. ومنذ ذلك الوقت حافظت هذه التجارة على وجودها رغم المعارك الطاحنة التي شهدتها مناطق حقول النفط، ورغم تغيّر الجهات أو القوى المسيطرة على هذه الحقول.

يأتي تجار النفط الخام في المرتبة الثانية -بعد مالكي الآبار أو المسيطرين عليها- في سلم المستفيدين من الاستثمار العشوائي لنفط المناطق المحرّرة. ويعتبر هؤلاء عملهم خالياً من أية شبهة، فهم يشغّلون رأس المال لتحقيق أرباح في عمليات الشراء ثم البيع، بحسب ما يقولون. لكن الأكثر صراحةً منهم يشير إلى خلل ما يعتري عملهم، فالربح السريع لمبالغ كبيرة لا بدّ أن يخالطه شيءٌ من الحرام، كما يقول سعيد، وهو مالك صهريج متوسط الحجم. لكنه يحاول، بحسب ما يقول، أن لا يكون جشعاً، وأن يساعد الفقراء والمحتاجين. ويؤكد عبد الله، وهو تاجر نفط شابٌّ من ريف الرقة، الفكرة ذاتها، ويستدلّ عليها بـ"ذهاب البركة" من الأرباح. فهو يعمل بالنفط منذ عام ونصف، ولم يوفّر إلا القليل رغم الأرباح الطائلة التي جناها؛ "إذ لم يشترِ سيارة فخمة، ولم يبنِ بيتاً جديداً، بل لم "يتزوج امرأة ثانية". لكن "ذهاب البركة" لا يمنع هذا الشابّ من الاستمرار في قيادة صهريجه والانطلاق نحو الآبار والوقوف هناك على الدور لعدّة أيام حتى موعد التعبئة، قبل أن يرجع محقّقاً ربحاً بمئات آلاف الليرات السورية. إلى درجة أن التاجر قد يبيع دوره لآخر، على عجلةٍ من أمره، بمبلغ كبير يصل إلى مئتي ألف ليرة في بعض الحالات.

ويعدّد عبد الله مواقع النفط المفضلة لديه، بدءاً من حقل العمر بدير الزور وانتهاءً بآبار بادية حمص القريبة من حقل الشاعر للغاز. ويعدّد كذلك جملةً من المخاطر التي تواجه السائقين أو التجار، مثل هجمات قطاع الطرق، وغارات طائرات الأسد، وألسنة الناس التي لا تترك أحداً وشأنه. فـ"شعبنا حسودٌ" ويكره الخير لغيره ويعيب الأعمال التي يعجز عنها، بحسب ما يشكو عبد الله ضاحكاً من منتقدي تجارة النفط الخام، "الآخذين بالتقلص عددياً، لأنهم يغيّرون آراءهم بمجرّد حصولهم على أية فرصة عمل في واحدةٍ من مهن النفط الكثيرة".

وبين عهود السيطرة المختلفة يصف التجار الأيام الأولى لـ"تحرير الآبار" بأحلى الأيام. ففي ذاكرة كلٍّ منهم قصةٌ جميلةٌ ملأ فيها صهريجه مجاناً أو شبه مجاناً، "كما نملأ الماء من النهر"، ليبيع حمولته في مناطق أخرى، محققاً أرباحاً كبيرةً مقابل لا شيء. وفي معظم المرّات كان التاجر يحصل على تخفيضاتٍ مذهلةٍ من المستولي على البئر، فقد يهديه عشرة براميل مجاناً، تضاف إلى ما يحققه صاحب الصهريج من عمليات التحايل في الكيل عند التعبئة. لكن تلك الأيام ذهبت مع "سيطرة داعش"، كما يهمس رجل نفطٍ متذمّرٌ من صرامة تنظيم "الدولة الإسلامية" في إدارة الحقول، فقد رفعوا الأسعار وفرضوا رسوماً على الزبائن الذين يشترون النفط بالعملة السورية. يصحّح عبد الله كلام المتذمّر بأن التنظيم لم يفرض رسوماً، بل يقدّم حسوماتٍ للمتعاملين بالدولار الأمريكيّ. وأنه هو نفسه قد استفاد من هذه التخفيضات بمقدار ثلاثين ألف ليرة في المرّة الأخيرة التي اشترى فيها. يخفّف المتذمّر من لهجته ويغيّر من موقفه وهو يشيد بقدرة التنظيم الكبيرة على "إبادة قطاع الطرق والحرامية".

في الأجزاء الوسطى والعليا من بادية الشام مواقع نفطيةٌ عدّةٌ، تقع بمعظمها خارج سيطرة النظام. ومنذ أكثر من عامين، ورغم الإنتاجيات المنخفضة نسبياً لهذه الآبار، إلا أنها تتيح، عبر مراحل (الاستخراج والنقل والتكرير العشوائيّ ثم البيع بالمفرّق للمستهلك)، فرص عملٍ لآلاف السكان، وخاصةً في ريف محافظة الرقة. وتعدّ آبار وادي العبيد وحقل تويناً، والآبار القريبة من حقل الشاعر، من أبرز مواقع النفط في البادية.

سيارات معدة لنقل النفط في دير الزور | موقع الجزيرة

جسر الشغور تستصرخ أبناءها بعد ثلاث سنواتٍ من الحصار

حسن ممس

يستيقظ كلّ صباح ليخرج إلى وظيفته الواقعة بالقرب من أحد أضخم الحواجز في مدينة جسر الشغور، عند مؤسّسة المياه. يقف حوالي الساعة والساعتين في طابورٍ على مدّ النظر، منتظراً دوره، كي يقوم جنود الأسد بالسماح له بالمرور، لكن بعد سيلٍ من الكلمات النابية وسبّ الذات الإلهية.

أبو يزن (45 عاماً) أبٌ لثلاث بناتٍ وشابين؛ أحدهما يدرس في جامعة حلب، والآخر التحق بركب الثورة المسلحة. يتقاضى أبو يزن راتباً قدره 35 ألف ليرةٍ سوريةٍ يكاد لا يكفيه هو وعائلته حتى منتصف الشهر بسبب غلاء الأسعار الذي تشهده المدينة المحاصرة، ممّا اضطره إلى البحث عن عملٍ إضافيٍّ ليستطيع أن يسدّ متطلبات أسرته.

يقول أبو يزن: "تعوّدتُ، كلّ خميس، أن تقوم قوّات الأمن بإرسال دوريةٍ خاصّةٍ لجلبي من منزلي كي يسألوني عن ولدي الذي التحق بصفوف الثوار. بالإضافة إلى أنّنا نعيش رعباً لا يوصف لأننا معرّضون، في أية لحظةٍ، لدخول الأمن والشبيحة إلى المنزل لتفتيشه..".

❖❖❖

لم يكن غريباً على أهل هذه المدينة، التي يرتبط اسمها بشكلٍ وثيق بأحداث الثمانينات من القرن الماضي، والتي راح ضحيتها الآلافُ المؤلفة من أهلها، أن تكون من أوّل المشاركين في الثورة. فقد خرجت أوّل مظاهرةٍ فيها يوم الاثنين الأول من نيسان/ أبريل 2011، شارك فيها المئات. وأخذت المظاهرات بالتمدّد والتوسّع بشكلٍ سلميٍّ حتى ضاق النظام بها ذرعاً، وسُجّلت أوّل مجزرةٍ في جمعة (أطفال الحرية)، في الثالث من حزيران/ يونيو، سقط فيها ثلاثة شهداء. وخلال تشييعهم قام جنود الأسد بتكرار إطلاق النار فارتفعت الحصيلة إلى 12 شهيداً، لتنتفض المدينة بأكملها، وتقتحمها -بعد أيام- القوّات الخاصّة في جيش الأسد. وقام النظام بفرض حصارٍ خانقٍ على المدينة وأحكم السيطرة عليها، مما دفع بالأهالي إلى الخروج منها بحثاً عن رقعةٍ فيها شيءٌ من الحرية. الأمر الذي زاد من نقمة النظام عليها وأصابه بهستيريا أدّت به إلى اعتقال أيّ شخصٍ تثبت هويته أنه من جسر الشغور. ورغم ذلك ما زالت المدينة تشهد كلّ فترةٍ أحد أنواع الحراك السلميّ، من كتابةٍ على الجدران إلى توزيع البروشورات التي تندّد بممارسات قوات الأمن.

يصل تعداد سكان المدينة إلى حوالي 50 ألفاً، نزح ثلثهم، وبقي ثلثٌ معظمهم من شريحة الموظفين الذين يخافون على وظائفهم من الضياع بعد الفترة الطويلة التي أمضوها في دوائر الدولة، والثلث الأخير يقسم إلى قسمين؛ الأول إمّا أن يكون من المؤيدين للنظام، الذين أصبحت تربطهم بجنود الجيش والأمن علاقاتٌ قوية، والثاني من الذين يخافون من النزوح ومصاعبه، ومن بطش مدفعية النظام التي تصبّ حممها كلّ يومٍ بمئات القذائف العشوائية على ريف المدينة المحرّر.

وبالمقابل، يعيش المواطن داخل المدينة وضعاً معيشياً لا يحسد عليه، فأسعار المحروقات في ارتفاعٍ مستمرّ، مما انعكس على أسعار السلع الغذائية. بالإضافة إلى قلّة فرَص العمل، وتدهور الوضع الأمنّي، وزيادة الضرائب على أصحاب المحلات التجارية؛ كلّ هذه الأمور أدّت بالموطن إلى التذمّر. قال أبو محمد، أحد سكان المدينة: "نعيش حالةً صعبة؛ أولاً نقصٌ حادٌّ في المحروقات، وخصوصاً مع قدوم فصل الشتاء. وثانياً الانقطاع المتكرّر للكهرباء، و قيام النظام برفع أسعارها. وبشكلٍ عامٍّ هناك ارتفاعٌ جنونيٌّ للأسعار".

واليوم، يعيش شباب مدينة جسر الشغور، كما شباب سوريا عموماً، خوفاً كبيراً بعد قيام قوات النظام بسحب الذين تتراوح مواليدهم بين 1980 و1985 إلى الاحتياط، والزجّ بهم في الصفوف الأمامية للمعارك. الأمر الذي أدّى إلى هروب عددٍ كبيرٍ منهم إلى خارج المدينة خوفاً من الاعتقال.

وما زالت المدينة تعيش معاناتها الصامتة بانتظار يومٍ يحمل لها الخلاص.

في أحد شوارع الجسر

في نقد الثورة... واستثمار نقدها

يوسف عبد الأحد

بات من المعروف أن ناشطي الثورة وممثليها، من إعلاميين وسياسيين وعسكريين، دأبوا لوقتٍ طويلٍ على تجاهل السلبيات بين صفوف الثوّار، والتستّر عليها. وقد كان ذلك لأن هذه الممارسات كانت هامشيةً بالفعل، بالقياس إلى التيار العام الطاغي على الثورة في أشهرها وسنتها الأولى، وبهدف حشد التأييد الغربيّ والعالميّ ودفعه نحو دورٍ مؤثرٍ في مجرى الأحداث، وأخيراً بهدف محاربةً دعاية النظام، التي لم تترك تهمةً لم تلصقها بالثائرين، من التكفيرية والتطرّف إلى اللواط وتعاطي المخدّرات، مروراً بالعمالة لقوىً خارجيةٍ والارتزاق منها.

ولكن هذه الهالة من الاحترام والتنزيه، القائمة على منع الانتقاد، والتغطية على المعلومات والمؤشرات السلبية، أخذت بالتحلّل شيئاً فشيئاً، وببطءٍ ومقاومة، حتى انهارت مؤخراً في عاصفةٍ عاتيةٍ أو سيلٍ صاخبٍ جرف سداً قلقاً من الحجارة وأحاله رملاً تذروه الرياح.

بدأ الأمر بالممثلين العامّين للثورة، من الناطقين وأصحاب التصريحات على القنوات الفضائية، فأعضاء في المجلس الوطنيّ ثم الائتلاف، وأخيراً في الحكومة المؤقتة. وقد حاز هؤلاء توكيلاً دلت عليه شواهد كثيرة، في عجالةٍ من القتل الذي روّع الثائرين، وعلى جهالةٍ وسمت كلّ هؤلاء الممثلين تقريباً، وذلك لهدفين ملحّين هما الإسراع في وقف الكابوس الدمويّ الذي يرتكبه النظام، واستجلاب الدعم. ولا شك أن الفشل في تحقيق الهدف الأول، واقتصار الإنجاز في الثاني على أقلّ القليل، مع طول المدّة، وترقّب السوريين لنتائج عمل ممثليهم المفترضين، ومراقبة تصريحاتهم الركيكة والمتناقضة على الشاشات؛ هي أسباب إسقاطهم رمزياً بأسرع مما صعدوا، وشتمهم في كلّ مناسبةٍ بأكثر ما نالوا من تقديرٍ في البداية. وتكفي نظرةٌ واحدةٌ إلى التعليقات على أيّ منشورٍ لصفحة الحكومة المؤقتة على الفايسبوك دليلاً، والأدلة كثيرة جداً.

واتسع الأمر، وأيضاً بسبب طول مدّة الألم والتعثّر الواضح للفاعلين. فطال الانتقاد الكتّابَ والمحللين، فقادة النشاط السلميّ المتفائلين دون سندٍ واقعيّ، وقادة الكتائب والألوية الذين لم يتقنوا معادلة استجلاب الدعم اللازم وتنظيم الصفوف بهدف الخلاص من النظام أو التحرير المناطقيّ الآمن من شتى أنواع قوّاته المدمّرة. وبين هؤلاء وأولئك احترق إعلاميون، ورؤساء مجالس محلية، وعاملون في الإغاثة، ومنظّماتٌ... إلخ.

وإذا كان كلّ ذلك مفهوماً، وبحاجةٍ إلى الكثير من النقاش حول الأساليب والضوابط؛ فإنه، في وجهٍ من وجوهه أيضاً، صحّيٌّ ومبشّر، بعد عقودٍ من التدريب على عبادة الفرد وتقديس عائلته ومقرّبيه. ولكن...

❖❖❖

من الملاحظ ترحيبُ أعضاء وأنصار تنظيم «الدولة»، بالمقالات أو الآراء المنتقدة لهياكل وسلوكات الثوّار. ومع غياب الأرضية المشتركة بين «الدولاويين» وبين الثورة، يتبيّن أن هذه الآراء لا تعني بالنسبة إليهم سوى دليلاً آخر على فشل الثورة وتخبّطها وسوء إدارتها لشؤونها وللمناطق الخاضعة لسيطرتها، مما ينتج عنه حكماً -عندهم- ضرورة التخلي عنها وتسليم الأنفس والأسلحة والموارد والمدن «للدولة» الصارمة المركزية، التي تحارب اللصوص وتفرض الأمان!

وإذا بنا، عندما نكتب وننتقد، وكأننا نقدّم مادةً دسمةً لقناة الدنيا، أو لسواها من وسائل إعلام النظام، لتقول: وها هم يعترفون في إعلامهم بفشلهم في هذه المسألة، وبتخبّطهم في أخرى... إلخ!

وهذا درسٌ إضافيٌّ نتعلمه من الصراع مع داعش. وهو أن الأنظمة الطغيانية تتشابه إلى حدٍّ بعيدٍ وغريبٍ في البنية العميقة، رغم اختلافها الشديد في المنطلقات والأهداف وفي أشياء أخرى كثيرة. وإذا بجماعة «عرين الأسد» هم نفسهم جماعة «آساد الدولة»، وإذا بالمبالغة البائسة التي استخدمها أنصار بشار في وصفه بقولهم «نظرتك ترعبهم»، تنقلب بسهولةٍ إلى الوصف الذي أطلقه أتباع البغدادي «مرهب الأعادي». ولا نقصد هنا الإشارة إلى فكرة عمالة التنظيم للنظام، وهي التي أعوزتها الأدلة الجادّة وأسقطتها الأحداث، ولكننا نرمي بالضبط إلى أن بنية الطغيان واحدةٌ، في عمومها كما في جزءٍ وافرٍ من تفاصيلها.

ينبغي علينا التنبه إلى ذلك، ولكنه يجب أن لا يدفعنا إلى التوقف عن انتقاد الثورة ورجالاتها، سياسيين وعسكريين. فهي ثورة حرية القول، ومحاسبة المسؤول، والمساواة أمام القوانين. ولن يدفعنا الاستغلال الدنيء لهذه الانتقادات إلى كبتها وتزيين الصورة؛ فهذه الثورة ثورتنا، وسنمضي بها حتى تستوي على الجوديّ. ولكننا لن نساوي أبداً، على حد تعبير بشير هلال، بين «شجرة أخطاء الثورة، وغابة بربرية النظام» وداعش.

الجيش والسياسة في سورية (1918 – 2000)

محمد عثمان

صدر هذا الكتاب عن دار الجابية عام 2008، بعد أن كان أطروحة الدكتوراه التي تقدّم بها مؤلفه، بشير بن محمد سرور زين العابدين.

يرصد الباحث المحاولة المتواضعة الأولى لتأسيس الجيش العربيّ في عهد الملك فيصل، والتي أجهضت على يد القوّات الفرنسية الغازية. ولكنه يركز جهده على تتبع سيرة «القوّات الخاصّة للشرق»، التي أسستها سلطات الاحتلال في 1924، كفرق أمنٍ داخليةٍ مهمتها حفظ النظام وقمع الثورات داخل المدن، وتألفت أساساً من متطوعين من الأقليات الدينية والعرقية، بقيادةٍ فرنسية. وهنا يجب عدم الوقوع في الخلط الشائع بين هذه القوّات، التي صارت نواة الجيشين السوريّ واللبنانيّ، وبين «جيش الشرق» الذي تألف أساساً من عناصر خارجية من مغاربة وأفارقة، واستخدمته فرنسا كقوّةٍ حربيةٍ محضة.

تطوّرت أعداد وتنظيم القوات الخاصة للشرق دون أن تتغير تركيبتها، فقد ظلّت تتكوّن من المسيحيين والعلويين بشكلٍ أساسيّ، ومن نسبٍ أقلّ من الدروز والإسماعيليين والشيعة. وفي رسالةٍ وجهها القنصل البريطانيّ سمارت إلى خارجيته، عام 1926، يقول: «أفيدكم بأن الفرنسيين قد جنّدوا حوالي 200 إسماعيليٍّ من السلمية... إن صاحب العقل الرومانسيّ سيسرّ لاكتشاف ربطٍ تاريخيٍّ بين الفرنجة والحشاشين أيام الحروب الصليبية ضد الإسلام، ولكن المعنيين بالوضع السوريّ اليوم سينظرون إلى هذه المسألة بتخوّف. فقد جرّ الفرنسيون الأرمن واللبنانيين [الموارنة] والشركس والأكراد والإسماعيليين وجميع الأقليات للمواجهة ضد الإسلام العربيّ. ومن المتحقق أن العرب لن ينسوا هذه الحقبة المفجعة».

ومع تأسيس الجيش السوريّ من القوّات الخاصة للشرق، إبان الاستقلال، رفض قسمٌ من هذه القوّات الانضواء تحت الحكم الوطنيّ، وفضّل الرحيل مع القوّات الفرنسية، وسُرّح قسمٌ آخر بسبب عدم الأهلية، وتشكّل الجيش من القسم المتبقيّ، بعددٍ قليلٍ جداً وأوضاعٍ مزرية. وحاول الحكم الوطنيّ الناشئ تنظيم قوّاته المسلّحة ودعمها، فأقرّ التجنيد الإجباريّ، وأنشأ الأركان العامة، وأسّس مدارس وكلياتٍ عسكريةٍ للرتباء في مختلف صنوف الأسلحة، فيما تحوّلت الكلية الحربية في حمص إلى كليةٍ وطنيةٍ باشرت بتخريج الضباط منذ عام 1948 بأعدادٍ متزايدة. ولكن تمثيل الأقليات بين الضباط استمرّ في الارتفاع.

ويستعرض المؤلف السيرة المطوّلة للانقلابات الكثيرة المتلاحقة، بالتوازي مع زيادة الإنفاق العسكريّ، وتضخّم دور الضباط، وشيوع الأفكار اليسارية بين قسمٍ كبيرٍ منهم، ودخولهم في صراعاتٍ وكتل وأحزاب، وصولاً إلى انقلاب الثامن من آذار 1963، واستيلاء حزب البعث على السلطة. وقد شهدت مرحلة الستينيات تحولاً في خلفية صراعات الضباط، من الكتل القائمة على أسسٍ آيديولوجية، وإن شابتها الطائفية والمناطقية، إلى تقدّم هذين العنصرين إلى واجهة المشهد، بإقصاء الضبّاط السنّة ثم الدروز، وأخيراً تفرّد حافظ الأسد بالحكم منذ عام 1970، في «تصفياتٍ عشائريةٍ» داخل الطائفة العلوية.

وبحسب الكتاب، اتسم نظام الأسد بتركيز السلطة أساساً بيد عشيرته المتاورة على حساب العشائر العلوية الأخرى، كالكلبية والحدادين والخياطين. كما أشرف شخصياً على تنسيب عددٍ كبيرٍ من المرشدين إلى القوّات المسلحة في السبعينيات، واختارهم لقوات النخبة وقتها، سرايا الدفاع، التي كانت بقيادة شقيقه رفعت. كما اعترف لساجي بن سلمان المرشد بالمكانة الدينية والمرجعية المذهبية بين أتباعه، بينما أصبح الابن الثاني النور من كبار المقاولين، فقد تعهّد مباني معسكرات السرايا في المعضّمية قرب دمشق، وبناء معسكرٍ ضخم لهم قرب قرية شطحة، مركز المرشدين، استوعب لواءً كاملاً من سرايا الدفاع أطلق عليه «اللواء الجبليّ». وقد استفاد حافظ الأسد من كل هذه الأعطيات والتسهيلات عند نشوب الصراع بينه وبين شقيقه، فضمن ولاء المرشدين في صفوف السرايا، وأشهرهم وقتها بهجت سليمان.

يورد المؤلف أخيراً قوائم بأسماء كبار الضباط العلويين ومن أقارب الأسد، ممن تولوا قيادة الجيش وفرقه والأجهزة الأمنية. ويستعرض الملابسات التي أحاطت بعملية توريث السلطة لبشار، بين تواطؤ معظم أبناء الحرس القديم ورفض بعضهم، كعلي حيدر قائد الوحدات الخاصّة، الذي أوقف لمدّةٍ قصيرةٍ ثم أحيل إلى التقاعد. وهنا ربما نتذكّر التسجيل الذي سُرّب أثناء الثورة، والذي يتهم فيه حيدر بشار بسوء إدارة البلاد خلال «الأزمة».

في زمن الانقلاب العسكريّ
الترحيب بالسوريين اللاجئين ينقلب إلى عداءٍ مرير

أسماء الزهيري/ النيويورك تايمز
ترجمة مأمون حلبي

عشرات الرجال، يحملون الهراوات والسكاكين، اقتحموا جمعيةً خيريةً للاجئين السوريين، بعد الانقلاب العسكريّ في مصر والإطاحة بالرئيس مرسي. كانت رسالة المقتحمين: أيها السوريون؛ لم يعد مرحّباً بكم في مصر. "أيها السوريون؛ إنكم تشعلون البلد"، هكذا كان يصرخ المهاجمون وهم يضربون راكان أبو الخير الحمصيّ. أما ابنه الشاب، فقد تلقى ضرباً مبرحاً على رأسه وتُرك في غيبوبة.

أثناء الحرب الأهلية الدائرة في سوريا اتجه 300 ألف سوريٍّ إلى مصر. وهناك تمّ الترحيب بهم، وكان مرسي وحلفاؤه من بين المرحّبين بالسوريين والمؤيدين للثورة ضد نظام الأسد. "لقد ساندَنا الناس هنا في مصر. لقد فعل المصريون ما بوسعهم ليساعدوا السوريين"، يقول محمد طاهر، وهو سينمائيٌّ سوريّ. لكن مع تنامي الغضب ضد مرسي، ثم الإطاحة به، تمّ اعتبار السوريين حلفاء له، وجُعل منهم ومن الأجانب الآخرين أكباش فداءٍ، مع استلام العسكر للسلطة وتحذيرهم من مؤامراتٍ خارجيةٍ لزعزعة استقرار مصر، وإطلاق العنان لحملةٍ مسعورةٍ ضد الأجانب في وسائل الإعلام الإخبارية وفي الشوارع. عضو برلمانٍ سابقٌ طالب بإعدام السوريين والأجانب الآخرين. مذيعٌ تلفزيونيٌّ طالب "الرجال الحقيقيين بالعودة إلى بلدهم وحلّ مشكلاتهم هناك". العصبية القومية الصاعدة كانت مفاجِئة ومخيفة. أصبح محمد أبازيد، السوريّ من درعا، خائفاً وهو يرى منشوراتٍ يتم توزيعها: "إخوتي وأخواتي المصريين، قاتلوا الاحتلال السوريّ ودافعوا عن أعمالكم". بعض المؤيدين البارزين لحكومة الانقلاب امتدحوا جيش الأسد علناً.

بعد (العَلقة) عاد راكان الحمصي للعمل، وتعافى ابنه الذي ملأت رأسه أربعون قطبةً. لاجئون آخرون قالوا إنهم لم يواجهوا مشكلات، لكن قصصاً مثل قصة راكان جعلتهم متوترين. كثيرٌ من السوريين اختاروا قضاء وقتٍ أقلّ بين الناس أو اختاروا مغادرة مصر إلى دول جوار سوريا؛ الأردن، لبنان، تركيا، وهذا ما فاقم أزمة اللاجئين الإقليمية. آخرون يلجأون إلى الفرار بحراً إلى إيطاليا عن طريق المهرّبين. ومئاتٌ من السوريين تمّ اعتقالهم وترحيلهم. قبل الإطاحة بمرسي، كان من الصعب العثور على مقعدٍ في الرحلات الجوّية القادمة إلى القاهرة من إسطنبول وعمّان وبيروت.

أما بعد استلام حكومة الانقلاب للسلطة، فقد أصبح مطلوباً من السوريين، وبعد عقودٍ من الزمن، الحصول على تأشيرة دخول.

في أحد المباني السكنية للسوريين، استعاد مأمون الدمشقيّ عافيته من جروح أصيب بها طعناً عندما هاجمه رجلٌ في باص، بعد أن طلب مأمون من الناس التوقف عن التدخين. لم يكن متأكداً من السبب من طعنه. يقول السوريون إن لهجتهم كافيةٌ لإثارة العداء ضدهم. الرجل الذي طعن مأمون اتهمه بالانتماء إلى الإخوان المسلمين. عندما وصل مترنحاً إلى الرصيف خاف عابرو السبيل من الاقتراب منه، وأخيراً أرشدوه إلى صيدلية. قصة مأمون شاعت بين أفراد عائلته وأقربائه. 15 عائلةً يعرفها مأمون فرّت إلى إيطاليا. وأقرباء آخرون في سوريا، كانوا يفكرون بالالتحاق به في مصر، سمعوا حكايته فقرّروا البقاء حيث هم.

تقول امرأةٌ من الغوطة، التي قُتِلَ فيها المئات بهجوم كيماويّ: "يرى جيراني المصريون أننا نأخذ أعمالهم، وأننا السبب في خرابهم". المرأة، التي تعيش لوحدها، غيّرت طريقة لباسها ولوّنت حديثها بالمفردات العامية المصرية لتخفي هويتها السورية.

في المساء كَنَسَ المستخدمون في أحد مقاهي مدينة 6 أكتوبر زجاج واجهة المقهى المحطّم. الأمر الذي بدأ (كخناقة) بسيطة توسّع عندما حطّم عشراتٌ من البلطجية المحليين واجهة المقهى وبعض الطاولات والكراسي. أسامة، مالك المقهى، قال إن رجال الشرطة أتوا بعد ساعاتٍ ولم يكترثوا لشكواه. يقول أسامة: "كنا نتمتع بالحماية في ظلّ حكم الرئيس مرسي، وكان افتتاح المقهى أمراً سهلاً، وكانت الحكومة عازمةً على تسهيل الحياة للسوريين، أما الآن فأذهب إلى العمل وأعود إلى البيت آملاً أن لا يلحظني أحد. في دمشق كنا نعرف من هو عدوّنا، أما هنا فلسنا متأكدين؛ أهو الحكومة؟ البلطجية؟ الشرطة؟ الشعب؟".

ثالوث القوى... هل يُخمد أسطورة سهيل حسن؟

أليمار عباس

في مستنقع الأزمات التي يغرق فيها العلويون، والتي تبدأ بفقدان شبّانهم ولا تنتهي بلقمة العيش، وأزمات الطاقة التي تتفاقم يوماً بعد يوم، وفي محيطٍ يغزوه فساد مسؤوليهم واستغلالهم، وحتّى لقناعتهم المتزايدة أنّ ضباطهم فاسدون وجميع من يقاتلون معهم، ومع تصاعد حدّة الانتقادات لبشار الأسد كرئيس وحام للطائفة، وبعد أن أدّت كلّ وعوده إلى جحيم خياراتهم؛ تظهر الشخصيّة الأسطورية، والتي بالكاد حققت بعض "المكاسب"؛ العقيد سهيل حسن.

بدأ هذا الرجل أعماله العسكرية "الأسطورية" في حماة ومن ثم في إدلب. وأوّل قصّةٍ بدأت تنعش آمال العلويين بقائدٍ قويٍّ هي إعدامه لعددٍ من (مقاتلي الشبيحة) لأنّهم قاموا بأعمال السرقة والنهب. وكان إعدامهم على الملأ أمام أعين مقاتليه، ليعلن صراحةً أن من يحارب معه سيحارب من أجل النصر لا من أجل السرقة...

أما تلك الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها فمن أين جاءت؟ لا أحد يعلم. تقول الأسطورة العلوية إنّ بشّار الأسد هو من منحه كافة الصلاحيّات. لكنّ الجميع يعلم أن بشار لا يستطيع أن يتجاوز الحجاج الإيرانيين، ولا يستطيع أيٌّ من ضبّاطه فرض أمرٍ عليهم، أو ردعهم عن فعل أيّ شيء.

عندما وقعت كسب بيد قوّاتٍ من المعارضة السوريّة أسرع إليها. وتقول الأسطورة العلويّة إنّه هو من قام بتصفية هلال الأسد لكثرة فساد الأخير. ومن حسن حظّه أن المعارضة تعرضت لضغوطٍ سياسيةٍ أدّت لانسحابها من كثيرٍ من المناطق هناك، فكان للعقيد سهيل حسن النصر.

اتجه بعدها، مع القوّات التي أتت من كلّ الجهات المقاتلة مع النظام لتنضمّ إليه (الجيش، والأمن، والدفاع الوطنيّ...) إلى حلب. وراح الموالون يحلمون بـ"تحرير" حلب القريب، لكنّه لم يفلح في هذا الأمر. ما استطاع فعله في حلب هو أنّه أمّن الطريق الشرقيّ إليها، باتباع سياسة الأرض المحروقة. لا شيء خلفه على قيد الحياة، ولا قائمةً تقوم من بعد مروره في أيّ مكان. عُرف عنه أنّه استمال أهل السفيرة بريف حلب، عندما أغدق عليهم الغاز والمازوت والمواد الغذائية. لكن هذا الوفاق لم يدم طويلاً، فدخلها محدثاً الكثير من المجازر.

راوح في حلب لعدّة أشهر لم يستطع فيها أن يحدث خرقاً في معادلة الصراع. حتّى سياسته الإجرامية في التدمير والحرق لم تفلح، إذ إنّ الثوار أوقفوه وراحوا يتقدّمون أحياناً. الرجل الأسطورة يبحث عن نصرٍ تعيش أسطورته عليه كلّما خمد نجمُ نصره السابق. ترك حلب وصبّ قواته على ريف حماة، وعلى مورك بالتحديد، ما أدّى لانسحاب الجيش الحرّ من هناك، ودخل سهيل حسن مورك.

من القصص الأسطورية، والتي ربما قد تكون صحيحةً هذه المرّة، أنّه تعرّض لمحاولة اغتيالٍ دُفع عليها أكثر من مئة مليون دولار، تورّط فيها أكثر من خمسة ضبّاطٍ علويين رفيعي المستوى. تقول القصّة إنّه اكتشف أمرهم وقام بإعدامهم ميدانيّاً في مطار حماة. (قد يكون زعم محاولة الاغتيال مجرّد مطيّةٍ لقتل كل من يقف في طريقه).

وتحكي قصّةٌ أخرى عن محاولة اغتياله في حلب، حيث أصيب في يده وقتل أحد مرافقيه. وتقول إحدى أكبر الشطحات الأسطوريّة إنّ هناك خمس نسخ عن العقيد، كلٌّ منها شبيهةٌ بالأصل إلى حدٍّ كبير، ومنها نسخةٌ إيرانيّة تعلّمت على مدى شهورٍ اللكنة العلوية في الحديث!!!

تقول الأخبار مؤخراً إنّ سهيل حسن قد اتجه مع قوّاته إلى حقل الشاعر في تدمر، ليحرّرها من تنظيم داعش. حقل الشاعر، الذي يحوي مخزوناً استراتيجيّاً للطاقة، صار نقطة التقاء أكثر القوى تأثيراً على الأرض السورية (التحالف الدوليّ، داعش، والنظام ممثلاً بقائده الأسطوريّ).

ولكن العقيد لم يستطع أن يحقق نصراً هذه المرّة. ربما لسببين؛ أولهما أنّ الجوّ هناك للتحالف، وثانيهما أن الأرض محروقةٌ سلفاً.

قائمة الإمارات للإرهاب... لواء التوحيد وداعش وبوكو حرام

ليس الفصل الآن صيفاً، لتدفع الحرارة الشديدة والرطوبة المرتفعة وضجيج أجهزة التكييف باتحاد المشيخات البدوية السبع، المسمّى بالإمارات العربية المتحدة، إلى ارتكاب أخطاءٍ فادحة، كما فعل في تصنيفه الخاصّ بقائمة المنظمات الإرهابية. ليظهر مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" في هذه القائمة مكافئاً إرهابياً لتنظيم الدولة الإسلامية، المسمّى في القرار الرسميّ داعش. ولتكون مؤسساتٌ إسلاميةٌ في النرويج والسويد وفنلندا والدانمارك إرهابيةً، مثلها مثل حركة بوكو حرام في نيجيريا. ولا يُعلم فعلاً أية كتيبة "عمر بن الخطاب" قصدها التصنيف دون غيرها من عشرات الكتائب السورية التي تحمل الاسم نفسه؟ وأية خطورةٍ يشكلها لواء التوحيد الحلبيّ على حضارة الإمارات، متمثلةً بأسطواناتها البيتونية شاهقة الارتفاع -الأبراج- المحشوّة بالهنود والفيليبينيين وفقراء آسيا الوسطى وغيرهم من أبناء الجنسيات قليلة الحظ؟

هو المزاج العصبيّ ذاته الذي لم يفارق رأس اتحاد المشيخات السبع منذ اندلعت أولى ثورات الربيع العربيّ، ولم تفارقه كذلك الأفكار السوداء بأن يخرج من بين سكان المشيخات الأصليين، المهدّدين بالانقراض، من يسأل حكامه أيّ سؤال. نعم، هناك خطر إرهاب قد يهدّد تحالف المشيخات، ولكن تهدّده أكثر قلة النضج والتمييز.

تماثيل ليست لحافظ الأسد

في قرية عين الوادي، وهي إحدى قرى وادي العيون في حماة، افتتح مسؤولو المحافظة نصباً تذكارياً لجنديين شقيقين من أبناء البلدة قتلا في صفوف الجيش الأسديّ. تناقلت صفحات الشبيحة الخبر والصورة، فترحّم معظم المعلقين على القتيلين، وأسفوا على شبابهما الضائع. وتوقع معلقون آخرون أن تكون عائلة القتيلين تعاني الآن من البرد، واقترحوا على مسؤولي المحافظة أن يؤمّنوا لها وقود التدفئة بدل إنفاق الأموال على التماثيل والتقاط الصور وإلقاء الكلمات أمامها. فيما أكد البعض أن هؤلاء المسؤولين، وبعد افتتاح النصب، توجهوا إلى مطعم قريب لتناول الغداء، ثم عادوا بسياراتهم الفخمة إلى بيوتهم أو مكاتبهم الدافئة.

طفلتا ماهر الأسد في مقدّمة الفائزين ببطولةٍ للفروسية

في عائلة الأسد ثلاث إناثٍ يحملن اسم بشرى؛ الأولى هي بشرى الكبرى بنت حافظ الأسد، ثم بشرى ابنتها من زوجها آصف شوكت، ثم الطفلة بشرى بنت ماهر الأسد. ومن أجل الأخيرة وشقيقتها شام أقيمت بطولةٌ للفروسية في نادي "باسل الأسد للرماية والفروسية" بالديماس، شاركت فيها -إلى جانب الفارستين الأسديتين- نخبةٌ من فرسان الحاشية. وكالعادة، فرضت الموهبة الوراثية نفسها على هذا السباق، لتحرز شام المرتبة الأولى لفئة المبتدئين، فيما أحرزت بشرى المرتبة ذاتها لفئة البراعم. ولم يخجل إعلام النظام من تغطية البطولة، غير مبالٍ بمشاعر جمهوره الجريح بقوافل جثث قتلى الجيش الأسديّ. ولم يجرؤ أحدٌ من مؤيديه على الامتعاض أو المطالبة باحترام أحزانهم، فتسليات عائلة الأسد أمرٌ مقدّسٌ يجب عدم التعرّض له بأيّ انتقاد.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

في مشفى الكَسرة ...رغم كل شيء لم يتوقف العمل

من أرشيف المشفى